مجلة شهرية

Issue No: 118 عدد:

June 2017 شهر حزيران

نور المسيح يسوع المسيح الغالب

Φ Ω Σ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

سرّ التدبير الإلهي

لمّا انحدر العليُّ يبلبل الألسنة

فرَّقَ الامَمَ مقسّمًا

ولمّا وزَّعَ الالسنة الناريّة

دعا الكلّ الى اتحاد واحدٍ

فلذلك نمجّد الروح الكلي

قدسهُ باصوات متفقة

مباركٌ انت أيّها المسيح الهنا. يا من اظهر الصيّادين غزيري الحكمة

مرسلًا الروح القدس وبهم اصطاد المسكونة. فيا محبّ البشر المجد لك

محتويات العدد

2	يا رب متى رأيناك
3	كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	النُّسك في حياة الرهبنة القديس باسيليوس
5	مملكة الحاجه راهبات مار يعقوب – دده
6	عدم الاهتمام بالعقيدة
7	شذرات آبائية
8	بابيسيوس والشاب ....
9	الإنسان والجدل
10	محبّة الذّات
12	الإيمان القويم القديس فليفيروفيتش
15	جزنا بالنّار والماء القديس پاييسيوس
16	روح النبوّة القديس غريغوريوس النزينزي
19	العهد القديم ١٠١
20	قامت الملكة عن يمينك
21	المسكن السمائي
22	شذرات آبائية
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

الله سلّم ابنه للموت، قَدَّمه ذبيحة لأجلك أفَلَا تعطيه مجرد قطعة الخبز؟!

الله لم يُشفق عليه لأجلِكَ، فهل تزدري بمن هو ابن حقيقي، وتتركه يتضور جوعًا، بينما أنت تنفق على ذاتك من عطاياه؟! (انظر متى ٢٥: ٣١-٤٦).

هل يمكن أن يوجد أسوأ من هذه **المخالفة**؟

فقد سُلِّمَ للموتِ لأجلك، ذُبحَ لأجلِكَ، وجالَ جائعًا من أجلِكَ، وأعطى لك مما له، لكي تنتفع أنت ذاتك، ورغم كل هذا فأنت لا تُقدم أي شيء؟!

مَنْ هم هؤلاء الذين فقدوا الحسَّ كأنهم حجارة، الذين على الرغم من الاحسانات الكثيرة التي كان ينبغي أن تجذبهم إلى **محبة المسيح**، إلَّا أنهم لا يزالون **في هذه الجفوة أو القسوة الشيطانية**؟

لأنه لم يكتفِ بموته وصلبه فقط، بل أنه قَبِلَ أن يصير فقيرًا، غريبًا، مشردًا ،عريانًا، ومسجونًا، ويحتمل الآلام لكي يجذبك إليه، حتى ولو بهذه الطريقة.

«**فالمسيح يناجيك قائلًا**»: «لأنك إن لم تبادلني العرفان بالجميل، لأني عانيت شيئًا من أجلك، قدِّم لي رحمة بسبب فقري، وإن لم تُرد أن ترحمني لأجل احتياجي أو فقري، فلتتحرك مشاعرك لأجل آلامي، تَرفَّق بي لأجل سجني. وإن لم يجعلك كل هذا مُحبًا للناس، إقْبَلِ ٱلمطلب ٱلزهيد. لأنني لا أطلب شيئًا مُكْلِفًا أو كثيرَ النفقات، إني أطلب خبزًا، ومسكنًا، وكلمة مُعَزِّيَة. لكن إن كنتَ بعد كل هذا لا تزال قاسيًا، فعلى الأقل لأجل ملكوت السموات، يجب أن تكون أفضل، ولو لأجل المجازاة التي وُعِدْتَ بها. فهل لديك كلمة تقولها عن هذه الأمور؟!

ليتك تترفقُ على الأقل أمام الطبيعة البشرية ذاتها، لأنك تراني عُريانًا، وتَذَكَّر ذلك العُرْيَ الذي حدث فوق الصليب من أجلك. وإن كنتَ لا تريدَ أن تتذكر ذلك، فعلى الأقل تذكَّر عُريي في الفقراء.

سُجِنْتُ لأجلِكَ من قَبْلُ، والآن أُسْجَنُ لأجلِكَ حتى تتحرَّكَ، سواء هنا أو هناك، لكي تصنع رحمة ما.

صُمْتُ لأجلِكَ، وأيضًا أجوع لأجلِكَ.

عَطِشْتُ عندما عُلِّقْتُ على الصليب، وأعْطَشُ في الفقراءِ، حتى أجْذُبَكَ إليَّ بواسطة هذه وتلك، وأجعلَكَ محبًا للناس من أجْلِ خَلاصِكَ.

ولهذا فعلى الرغم من أنك مدينٌ لي لأجل إحسانات لا تُحصى، إلَّا أنني لا أطلب منك مكافأة كمن هو مدين لي، بل أنني أُتوّجك كما لو كنتَ تمنحني عطايا كثيرة، وأهبَكَ الملكوت عِوَضًا عن هذه الأمور الصغيرة. لأني أقولُ لك لا تهبني غِنًى، رغم أنني صرت فقيرًا لأجلِكَ، بل فقط سَدِّدِ ٱحتياجي. إنني أطلب فقط خبزًا، وَمَلْبَسًا، وتخفيفًا للجوع. وإن كنتُ بعد قد أُلقيتُ في السجن، فإني لا أطلب أن تحل القيود وتخرجني خارجًا، بل أَطْلُبُ شيئًا واحدًا، أن تراني وأنا مُقَيَّد لأجلِكَ، وحينئذٍ سَتَرِثُ ملكوت السموات، لاجل هذا العمل فقط، على الرغم من أنني قد حَلَلْتُكَ من قيودٍ مُرعبة جدًا بل هي مرعبة أكثر من غيرها، إلَّا أنه يكفيني فقط أن تراني مُقَيَّدًا، إن أَرَدْتَ. إني أستطيع أن أُتَوِّجُكَ دون أن تراني هكذا، لكني أُريد أن أكون مَدِينًا لكَ. ومن أجل هذا، وعلى الرغم من أنه يمكنني أن أُطعم نفسي، فإنني أجول مُتسوِّلًا، وأقف أمام بابك مادًا يديَّ. لأني أشتهي أن تُطعمني، لأنني أُحِبُّكَ جدًا. ولهذا فإنني أشتهي مائدتك، وهذا هو حال الذين يُحبون، وهم يفتخرون بهذا. وحين يجتمع سكان المسكونة (يوم الدينونة)، عندئذٍ سأعترف بك كمنتصر، وعندما يكون الجميع منصتين إليَّ، سأعترف أنك أطعمتني يومًا ما.»

أما نحن، فعندما يطعمنا أحد، نخجل من هذا ونُخفيه، ولكن المسيح له المجد، لأنه يُحبنا جدًا، فحتى لو صَمَتْنَا نحن، فإنه سيعلن في ذلك الوقت ما حدث بإطراء كبير، ولن يخجل أن يتكلم به، وذلك عندما كان عريانًا وكسوناه، وعندما كان جوعانًا وأطعمناه .

شيء واحد فقط أريده منكم (**الذهبي الفم**): هو **إثبات المحبة بالأعمال، والطاعة بالأفعال** .

هذا هو المديح الذي أريده، فإن ذلك يُعَدُّ ربحًا لكم، ويعتبر بالنسبة لي كرامة تعلو على كرامة الإكليل. إذًا انسجوا لكم ولي هذا الاكليل بواسطة الفقراء، حتى نتغذى معًا بالرجاء الصالح، وعندما نرحل إلى الحياة الأبدية، ننال الخيرات التي لا تُحصى، والتي ننتظر أن ننالها جميعًا، بالنعمة ومحبة البشر اللتين لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والكرامة إلى أبد الأبدين آمين.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة حلول الروح القدس على التلاميذ الأطهار – العنصرة

«الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو٤:٢٤).

أيها الإخوة المحبوبون المسيحيون،
أيها الزوار المسيحيون الحسنو العبادة،

هذا الروح الأهلي هو المعزي ، وذلك من خلال كلام المسيح مع تلاميذه ، قبل آلامه الطوعيّة وصلبه بفترة وجيزة ، حيث قال : «لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بِرٍّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ.» (يو١٦: ٧–٨).

لقد بشر السيد المسيح المرأة السامرية ، بأن الله روح ، لكنه في حديثه مع تلاميذه الأطهار كشف جل الحقيقة واظهرها حول الروح الأهلي قائلاً : «سَيَأْتِيكُمُ ٱلْمَعَزِّي ..» (يو١٦: ٧–٨).

إذًا المعزي هو روح الحق أي الروح القدس، روح المسيح الذي يقول : « وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. » (يو ١٦: ١٣).

لهذا الحدث الجلل ، العظيم والعجائبي للمعزي ، أي الروح القدس من خلال حلوله على التلاميذ الأطهار ، سبق وتنبأ به الأنبياء في العهد القديم ، مثل النبي يوئيل إذ يقول: «وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى. ٢٩وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضًا وَعَلَى الإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ» (يوئيل ٢: ٢٨– ٢٩)

أما النبي حزقيال، يتنبأ ويقول... هكذا قال السيد الرب:« وَآخُذُكُمْ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي... وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحًا جَدِيدًا» (حزقيال ٣٦: ٢٤–٢٧) .

أما سفر أعمال الرسل فيذكر بوضوح حلول الروح القدس في العُلِّيَةَ في أورشليم حيث كانوا يقيمُ تلاميذ المسيح مع النساء ومريم أم يسوع وإخوته . (أعمال ١ : ١٣).

«وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعاً بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخَرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا» (أعمال ٢: ١– ٤).

فكما أن النبي موسى تسَلَّم وصايا الناموس أي الوصايا العشر بعد خمسين يومًا من الفصح الناموسي في صحراء سيناء ، هكذا كنيستنا المقدسة تسَلَّمت الروح القدس عند انسكابه على الرسل الأطهار ووالدة الإله العذراء مريم . بعد خمسين يومًا من الفصح المجيد ، أي بعد قيامة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الظافر من بين الأموات .

ومن طلبات الكنيسة في العيد نقتبس هذه الطلبة المباركة :

« ... في هذا اليوم الخمسيني الذي فيه بعد ارتقاء ربنا يسوع المسيح الى السموات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب أرسل الروح القدس إلى تلاميذه الرسل القديسين، واستقر على كل واحد منهم فامتلأوا جميعهم من نعمته الالهية التي لا تفرغ، وتكلموا بألسن أخرى وتنبأوا بعظائمك فاستجب لنا الآن نحن المتضرعين اليك. واذكرنا نحن الذليلين المدانين، فَرُدَّ سَبْيَ أنفُسِنَا، إذ لنا عندك شفيعٌ، وهو حُنُوُّكَ الخاص واقبلنا نحن الجاثين لديك، والهاتفين اليك قد أخطأنا، وعليك ألقينا من الحشى ومن بَطْنِ أُمِّنَا أنت الهنا إلَّا أن أيامنا قد فنيت بالباطل، وَتَعَرَّيْنَا من معونتك وَعَدِمْنَا كل جواب. لكن نحن واثقون برأفتك،

صارخون اليك: خطايا شبابنا وجهلنا لا تذكر ومن خفياتنا نَقِّنَا ولا ترفضنا في زمان الشيخوخة وعند فناء قوتنا لا تَتَخَلَّ عنا وقبل أن نعود الى الارض ، أَهِّلْنا أن نعود اليك ، وأنصت لنا باشفاقٍ وإنعامٍ وقابِلْ مآثمنا برأفتك وكثرة جرائمنا بعمق تحنناتك » .

لذا تُعَيِّد كنيستنا المقدسة باحتفال ووقار لهذا العيد الخلاصي ، متضرعة إلى الآب وقائلة : « **أيها الملك السماوي المعزي روح الحق الحاضر في كل مكان وصقع ، المالىء الكلَّ كنز الصالحات ورازق الحياة ، هلم واسكن فينا وطهرنا من كل دنس وخلص أيها الصالح نفوسنا** ».

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

النُسك في حياة الرهبنة
للقديس باسيليوس الكبير
عن فوائد المجمع – تتمة

٢) وأيضًا فإن عمل المحبة – في المسيح – يأمرنا بألّا يطلب كل واحد منا ما ينفعه وحده. بل وما ينفع رفيقه. وقد قال القديس بولس الرسول: «إنّ المحبة لا تطلب الذي لها » (١ كو ١٣: ٥) (ما لنفسها).

٣) والساكن وحده، إنما يعمل ما يُرضيه وحدَه. ويتداوى بما يوافق جسده. وهو ضد ناموس المحبة، التي أكملها الرسول بولس، ولم يطلب ما ينفعه لنفسه وحده، بل منفعة الكثيرين وخلاصهم.

٤) وأن المتوحد، لا يعرف نقصه بسهولة، إذ ليس من يبكّته ويؤدّبه بشفقة، لكي يستقيم ويكمّل المكتوب: «ويلٌ للواحد إن سقط، مَن الذي يساعده؟» (جا٤: ١٠). بل نجد أيضًا أن تبكيت العدو يصير سببًا لشفاء المشتهي خلاصه.

٥) والذين يعيشون في جماعة يكملون أكثر الوصايا بسهولة، مثل افتقاد المرضَى، ومشاركة حاجة العاجزين، وإطعام الجائعين وإرواء العطشَى، خاصة في الأماكن البعيدة. فالأعضاء (في الدير) مثل أعضاء الجسد الواحد، الذي إذا تمجّد تفرح معه سائر الأعضاء، وإن مرض عضوٌ، فإنّ جميعها تمرض معه.

٦) إن الله يعطي لكل واحد مواهب تلزم لغيره في الشركة. فقد ذكر القديس بولس الرسول أن واحدًا يُعطَى له كلام حكمة، ولآخر معرفة، ولآخر مواهب شفاء. فبالضرورة إنّ المتوحد إذا نال موهبة، فإنّه يخفيها في ذاته، ولا يقدر أن ينتفع غيره بها، وهذه صفة غير محبّذة، أما في المجمع، فإنه ينفع بها باقي الجماعة.

٧) ومن فوائد الاجتماع الصالح، إن كان واحدًا ينعس وينام النوم المستوجب الموت (مز١٢). فيحتاج لمن يوقظه من الأخوة المحترسين، لأن الذي يبكّته الكثيرون يبتعد عن توانيه سريعًا، ويكْمُل فيه قول الرسول بولس: «يكفي هذا (المتهاون) الانتهار، الذي صار له من كثيرين».

٨) والذي ينمو في الفضيلة – في المجمع – يكون له عزاءٌ كثيرٌ وثباتٌ في الإيمان ونموٌ ظاهرٌ لمدح الاخوة لفضيلته، عندما يمتحنون عمله – أما الواحد وحده، فقد يظن أنه قد وصل الى كمال الفضيلة، وإن كان ناقصًا، وهو لا يعرف مقدار نموّه في النعمة.

٩) وكيف يقدر أن يُكَمِّل التواضع والرحمة، وهو لا يجد من يتّضع له، ولا من يتحنّن عليه؟! وليس عنده إنسان يقاوم مشيئته. فإن قيل أن الكُتب تكفيه، لكي تُعلّمة إقامة الفضيلة، فليعلم أنه يُشبه إنسانًا يعلم، ولم يباشر عملها بالفعل. وقال الرسول بولس «ليس كل الذين يسمعون الناموس هم الأبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم المبرّرون» (رو٢: ١٣). والمسيح السيّد لم يعلّم التواضع بالكلام فقط، بل قام بتكميله بالفعل، فأتّزَرَ بمنديلٍ وغسَل أرجل تلاميذه. وأنتَ تغسل أرجل مَن ؟ أو تصنع خيرًا لمن؟ أو تكون أحقر ممّن إذا كنتَ متوحدًا ؟!.

مملكة الحاجة
أو حاجة المملكة؟

إعداد
راهبات مار يعقوب الفارسي – ددة، الكورة

إنّ التعامل مع المجتمع، في أيّامنا هذه، أمرٌ ليس قليل الأهمّيّة أو السهولة، وبخاصّة بالنسبة إلى شباب هذا العصر، ولهذا نراهم مرّات كثيرة حيارى في اتّخاذ موقف صحيح من بعض الأمور التي تواجههم، والتي غالبًا ما تسيطر عليهم. ولهذا سنحاول حصر المشاكل الرئيسةِ التي يتّسم بها مجتمعنا.

١) الاستهلاكيّة:

الرغبة المتواصلة لاستهلاك خيرات هذه الأرض، بدأت منذ زمن طويل. ولكنّها انصبّت في الآونة الأخيرة، أكثر فأكثر، على الحواسّ. إنّها تسعى، من دون انقطاع، إلى إثارة الحواسّ وتهيّجها، وتعمل، من دون كلل أو ملل، على إيقاظ الشهوة والمتعة ليصبحا مرتبطَيْن بها ارتباطًا وثيقًا لا ينفصم، وبذلك تصطاد الجميع بإصرار، بداعي الانشراح واللذّة. انظروا مثلًا الدعايات الخاصّة بالمأكولات كيف تركّز على الذوق والشهيّة، والتي تدعو الجميع إلى الإقبال على الطعام بِنَهَمٍ، فينقادون لها صاغرين، وغير مدركين الخطورة الناجمة عن ذلك. على كلّ الأحوال يسمّي علم النفس الخضوع إلى الشهوة واللذّة **انحرافًا**.

٢) فنّ الابتكار:

تسيطر الصورة بشكل منقطع النظير في عصرنا، وهذا ما نلحظه في الدعايات إن كان في التلفزيون أو في الشوارع. ورغم أنّ المحاولات تجري أحيانًا لحصرها، إلّا أنّ قوّتها تبقى نافذة، وجاذبيّتها تتغلغل بشكل سِحريّ، وهذا يعود إلى فنّ الإعلان المثير في غالب الأحيان، والذي يضغط على مشاعر الناس ويسيبها بواسطة الصورة وهكذا، شيئًا فشيئًا، يتكوّن مثالٌ لإنسان سطحيّ محبّ للمظاهر، يولي كلّ الأهمّيّة والاعتبار للمظهر وليس للجوهر، مجيزًا لنفسه كلّ "**ما يلمع**"

فيما هو فقير روحيًّا ومهشَّم نفسيًّا.

٣) التكنولوجيا:

إنّ الراحة التي نتنعّم بها نتيجة لتطوّر التكنولوجيا مذهلة وخطيرة في آن معًا، لأنّها تمدّنا بقوّة كاذبة، وأحيانًا بقوّة فائقة، إذ تجعلنا مرّات كثيرة، نشعر وكأنّنا أسياد العالم، قادرين على كلّ شيء. وتخوّلنا ثقة كبيرة، متملّقة إيّانا بأنّ كلّ التكنولوجيا هي تحت إمرتنا وخدمتنا، منسجمة بذلك مع الإعلان الذي سبقت الإشارة إليه. وبشكل عامّ، ونتيجة الشغف بالتكنولوجيا، سيطر السهو عن طبيعتنا الفاسدة وأضعفها لدرجة أنّنا بتنا لا نميّزُ الجوهر من المظهر، والأساس من الثانوي، والكامل من الناقل.

إزاء كلّ هذا ماذا كان ردّ الكنيسة؟ النسك والإمساك. أي التقليل الطوعيّ من ازدراد الملذّات إن كان عن طريق الصوم، أو التمرّس على خشونة الحياة وقساوتها، أو عن طريق ضبط النفس إزاء المغريات والمُغْوِيَات.

يذكّرنا هذا الإمساك، على الدوام، بأنّنا لسنا آلهة، ولسنا كلّيّي القدرة وغير مائتين، فلا نعود ونتشدّد في تحقيق مطالبنا، لأنّ من يتشدّد في تجسيدها هو دائمًا شخص تعيس لا يشبع، فلا يحقّق مطلبًا، حتّى ينتصب أمامه آخر، وقد يكون أكثر أهمّيّة ولزومًا، وهكذا... ونتعلّم بأنّ كلّ ما هو زائد عن الحاجة يصبح ثقلاً وعبئًا. بالإمساك ندخل إلى أعماق الأمور والأشياء، فلا يعود لها سلطان علينا لتغرينا بمظاهرها، فتسود علينا. وهكذا بمشاركتنا في نسك الكنيسة الأرثوذكسيّة، والذي يرافقه الاشتراك في الأسرار المقدّسة، والانعكاف على الصلاة، وعيش المحبّة الإنجيليّة نصل إلى الحرّيّة الداخليّة. لا يرفض النسك الأرثوذكسيّ المادّة في حدّ ذاتها ولا يمقتها – فلقد أوجدها الله لخدمتنا ومنفعتنا – إذ يعتبر أنّ المشكلة ليست في المادّة، وإنّما في عبوديّتنا لها. فنحن عبيد طالما تسودنا الحاجة، ونتحرّر عندما نؤمن بأنّ الحاجة الوحيدة والأساس هي الوصول إلى **الملكوت العلويّ**، وكلّ ما عدا ذلك يُزاد.

عن مجلّة الشباب اليونانيّة.

عدم الاهتمام بالعقيدة بين المؤمنين الأرثوذكس

الأب جورج فلوروفسكي

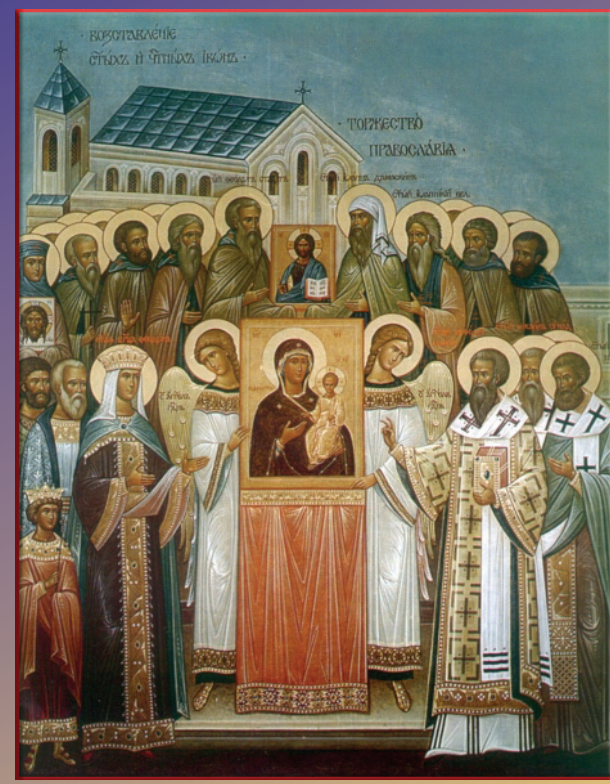

ما هو بالتحديد ما شدّ الروس إلى الكنيسة؟ العقائد الأرثوذكسية أم التعليم الأرثوذكسي؟.. هذا كان في الماضي، خاصةً لدى **الروم البيزنطيين**، لكن ليس في روسيا. في زمان ما كان الناس مهتمين بالأسئلة الإيمانية، حتّى العلمانيين منهم. لكن الروس، ما عدا مجموعة من المتعلمين لاهوتيًا منهم، لم يبلغوا نقطة الاهتمام بمسائل الفكر اللاهوتي المجرد، وبالحقيقة لم يكونوا مهتمّين بكل المسائل اللاهوتية. قد يكون السبب أن الكنيسة فشلت في تنمية الاهتمام باللاهوت بين المؤمنين. لكن السبب الحقيقي في انعدام هذا الاهتمام، هو أن الروس لم يهتمّوا ولا يفهموا الوجه النظري لتحقيق أو تجسيد المُثُل العليا التي للكنيسة في حياة البشر. إلى هذا، فإنهم يهتّمون بالوجه الطقسي للدين: جمالية الخِدَم، الأيقونات، الألحان وما شابه... إن للطقوس قيمة عاطفية وتربوية، لكن قلّة الذين يفهمونها جيدًا، والأغلبية لا يعرفون الحقيقة التي تشهد عليها، أو ترمز إليها هذه الطقوس. خاصةً أن الطقوس بحد ذاتها تؤثّر وتحرّك وترفع وتوحي بغض النظر عن معناها.

أمّا إذا كان هذا الوصف دقيقًا لمقاربة الروس للمسيحية هو أمر غير مبتوت. لكن الموقف نموذجي بالنسبة لبعض مكوّنات الكنيسة الروسيّة. العديد من الكتّاب يؤكّدون أن الأرثوذكسيين يتعلّمون المسيحية لا من الكتاب المقدّس، بل من حياة القديسين. كما أنهم يؤكّدون أن الأرثوذكسية بشكل عام ليست عقيدة بل حياة. الأرثوذكس لا ينشغلون بالنظم العقائدية بل بالحياة. إنهم لا يفهمون الحقيقة من خلال الفهم العقلي، بل من خلال القلب بطريقة جمالية. على المرء أن ينظر إلى التعليم الأرثوذكسي لا من خلال النُّظُم، بل من خلال الصوَر، أي الطقوس والأيقونات. حتّى أن البعض يؤكّدون أنّ في الشرق الأرثوذكسي لا توجد "نظرية المسيحية" بل بالمقابل يوجد قديسون وأيقونات وقصائد وغيره.

ما من أرثوذكسي أو كاثوليكي ينكر الأهمية الأساس للطقوس وحياة القداسة. لكنَّ المُرْبِكَ في الصياغات التي أشرنا إليها هي اقتصاريتها (*exclusiveness*)، وتركيزها على النفي والاستلحاق (إستلحقه : ادعاه ونسبه إلى نفسه) "**لا... بل**". يتساءل المرء لماذا تُقيَّد النظم العقائدية والفهم العقلي ويُزدَرى بها ويُقضى عليها تقريبًا. يبدو الميزان مكسورًا. في مطلق الأحوال، هذا التشديد الزائد على الوجه الفنّي للطقس لا يتّفق مع التقليد الحقيقي للفن الأرثوذكسي. وإذا كان ممكنًا أن يتعلّم المرء من الترتيل والأيقونات الأرثوذكسية فهو بالتحديد لأنها نظريةٌ مسيحيةٌ محدّدةٌ مجسّدةٌ ويعبّر عنها هناك. النظرية تعني قبل أي شيء التأمّل، إنها تَبَصُّرٌ ورؤيا، تَبَصُّرٌ شعري ورؤيا عقلية. بحسب التقليدي الروحي الأرثوذكسي، **النوس**: هو القوة الحاكمة في الحياة الداخلية. الترتيل الأرثوذكسي الشرقي التقليدي الذي ورثه الروس عن اليونان ليس مجرّد كلمات، ولا هو مُعَلَّم بالعاطفة بل بالرزانة. إنه شعرٌ سامٍ لكنه بالحقيقة شعر ميتافيزيكي، أو بالأحرى شعر لاهوتي ولا يتردد باستعمال مصطلحات لاهوتية محدّدة. بالواقع، إن بعض أهمّ الترانيم في الكنيسة الشرقية هي ببساطة، إعادة صياغة للتحديدات العقائدية: "ابنًا متجسدًا بغير أب، هو المولود من الآب قبل الدهور بغير أمٍّ ولم يَنَلهُ تغيير أو انحجان أو انقسام، بل حفظ خاصّةَ كلّ من الجوهرين سالمةً" (ثيوطوكيون باللحن الثالث). هذا هو تحديد مجمع خلقيدونيا وهو يتطلّب فهمًا لاهوتيًا. لقد قيل بحق أن الأيقونات الأرثوذكسية هي "تحف عقائدية" (بولوتوف) لأنها تشهد للحقيقة نفسها التي تحددها العقائد، وبحسب المجمع المسكوني السابع، يجب ضبط الأيقونات بعقيدة صحيحة.

بالطبع، العقائد ينبغي عيشها وليس تقييمها بالتفكير المجرّد وحسب، ولهذا السبب بالذّات، يصير الإلحاح على الحياة لا العقيدة أمرًا مضللًا. عادة الانقسام والانفصال تشوّه الحياة نفسها. لا يمكن فصل الروحانية عن اللاهوت عند القديس يوحنا الدمشقي، أو القديس غريغوريوس النزينزي. قد لا يصل المرء إلى لبّ روحانية القديس يوحنا كرونشتادت عندما يستخرجها عمدًا من رؤيته اللاهوتية. القداسة في التقليد الأرثوذكسي تُفسَّر دائمًا "لاهوتيًا"، وليس من خلال فئات العاطفة الجمالية أو التمجيد، بل من خلال تصنيفات الرزانة الروحية بالأمانة للحقيقة.

من المحرج بالحقيقة أن الاهتمام بالنُّظُم العقائدية قليلٌ، على غرار الاهتمام بعقيدة الكنيسة، في مختلف دوائر المجتمع الأرثوذكسي وأماكنه في أيامنا، وأن "**التقوى**" غالبًا ما تكون منفصلة بالقوّة عن "**الإيمان**". هناك **الكثير من الاهتمام بالأوعية والقليل منه بالكنز**

الذي وحده يجعل **الأوعية ثمينة**. الرموز والطقوس هي مركّبات للحقيقة، إذا فشلت في إيصالها تفقد وظيفتها. للأسف كثيرًا ما نسمع أن "الاهتمام بالعقائد" هو أمر بالغالب قديم، ويعكس موقفًا يونانيًا أكثر منه روسيًا. لا يوجد إلّا تقليد إيمان أرثوذكسي واحد. وهو يسمو فوق كل الحواجز القومية. **عيد الأرثوذكسية** الذي ما زلنا نحتفل به في الأحد الأول من الصوم، هو عيد لاهوتي بشكل فائق الدقّة. إن تراث الآباء هو محور تقليدنا الأرثوذكسي وهو تراث لاهوتي. تعليم الآباء العقائدي هو ربيع الأرثوذكسية في الحياة. يستطيع المرء أن يؤكّد أن التشوّش القائم اليوم في الحياة سببه المباشر هو الإهمال المعاصر للتعليم السليم، والافتقار للتعلّم السليم في شؤون الإيمان.

تَثْبُت الأرثوذكسية بأمانتها للمجامع المسكونية السبعة. في أغلب الأحيان، يُنسى أن ما شغل المجامع هو بالتحديد صياغة العقيدة المسيحية، وتفصيل النُّظُم العقائدية. أهي خطوة نحو الأمام أننا اليوم لا يحركنا ولا يثير إعجابنا هذا التعليم العقائدي الذي وضعه **هؤلاء الرجال العظماء**، الذين قدّموا حياتهم بكاملها لتثبيت الأرثوذكسية، الإيمان الصحيح؟ نحن نمتدح الأقمار الثلاثة (باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم) قبل كل شيء كمعلمين للمسكونة، لكننا وبشكل غريب لا نبالي لمساهمتهم الدائمة في حياة الكنيسة: أي بالتحديد تعليمهم ولاهوتهم، وتفسيرهم للحقيقة المسيحية بكلمات العقل. ألا نحتاج كأولوية، أن تستنير عقولنا بنور المنطق في هذه الأيام التي يسيطر فيها التشوّش العقلي؟ من دون توجيه رزين ومن دون عاملِ العقيدة الصحيحة الراسخ لا تستطيع مشاعرُنا إلا أن تخطئ وقلوبُنا إلّا أن تَعمى.

علينا أن نقبل إحياء الدين ويقظة القلب الحاليين كعطية من النعمة وعلامة للرحمة الإلهية، لكنهما أيضًا استدعاء جذري ودعوة للدرس والفهم، إلى معرفة الحقّ الذي يحتضن حياتنا الأبدية. يوجد تحامل بائس من مصادر غير أرثوذكسية مفاده أن العقائد مجرّدة، واللاهوت هو نشاط فكري (*intellectualism*). ربّنا ومخلصنا هو الكلمة (*the Logos*) وهو ينير كل الناس، والروح القدس معطي الحياة هو روح الحقّ. العواطف هي أمزجة بشرية بينما الحق إلهي. فلنزيّن الأوعية من دون أن ننسى أنها خزفية، لكن فيها يختبئ كنز أبدي هو كلمة الحياة.

النص أعلاه كتبه الأب جورج فلوروفسكي في الثلاثينيات من القرن

الماضي وعنوانه الكامل "**انتقاد لعدم الاهتمام بالعقيدة بين المؤمنين الأرثوذكس الروس**".

مذهل مطابق وصف فلوروفسكي للوضع الروسي في حينه والوضع الأنطاكي اليوم. دراسة علاقة اللاهوت بالحياة أمر كان وما زال ضرورة للحياة نفسها في كل مكان. ينتقد الأب فلوروفسكي عدم اهتمام "**المؤمنين**" بالعقيدة، وفي هذا الانتقاد يقدّم تعليمًا متكاملًا حول علاقة اللاهوت بالحياة ودوره فيها. ماذا تراه يقول عن أنطاكية اليوم، أي بعد ثمانين سنة تقريبًا من كتابة هذا المقال، وهي المدة نفسها منذ انتشار العمل النهضوي في أنطاكية على المستوى الشعبي، مع نشوء حركة الشبيبة الأرثوذكسية بشكل أساسي، وما تبعها ونتج عنها لاحقًا من إنعاش للحياة الليتورجية وإحياء للحياة الديرية؟ ينتقد فلوروفسكي عدم اهتمام المؤمنين بالعقيدة، فماذا تراه يقول لو قرأ محاضر المجمع الأنطاكي، أو اجتماعات كهنة الأبرشيات (**حيث تُعقَد**)، حيث يرِد كل شيء **إلّا اللاهوت أو المناقشة اللاهوتية**؟ في أنطاكية، لا مكان للاهوت خارج معهد القديس يوحنا الدمشقي، إذا تواجد هناك، إذ لا يستطيع فكر أن يستمر ما لم يجد تصريفًا له. لو كان فلوروفسكي، أو أي لاهوتي آخر يسلك طريقه، في أنطاكية لكانت تعاملت معه الإدارة الكنسية كعبء من الحلال إقالته وإسكاته ونفيه.

إن انتقاد فلوروفسكي لروسيا في الأربعينيات، وما شابهه من المساهمات الغيورة، هي التي سهّلت وقوف روسيا على قدميها بعد سبعةِ عقودٍ من القَمْع. وغياب الفكر اللاهوتي هو بالتحديد أول مانع لأنطاكية من الوقوف على قدميها. «تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ» (رؤيا ٢٢: ٢٠).

أعمال العدو: القديس نيقولا فيليميروفيتش: الصراع مستمر ودون هوادة، في الخارج والداخل. في بعض الأحيان، يعمل العدو بشكل واضح، من خلال الناس والأشياء، وأحيانًا أخرى يهاجم الناس بتخفٍّ، من خلال أفكارهم. في بعض الأحيان، يظهر علنًا مهاجمًا بعنف وبلا رحمة كعَدوٍ، ولكن في أحيان أخرى يكون متنكرًا في زيّ صديق يغري مضللًا إياك بمَكرِه.

طريق الحياة: الشيخ أفرام أريزونا: كلّ مسار الحياة ألم ودموع، وأشواك ومسامير. تتشكّل الصلبان في كل مكان، التوتر والحزن يحيطان بكل شيء. كل خطوة هي جتسمانية، كل تلّة هي جلجلة، كل لحظة هي رمح. إذا استطعنا أن نضغط على الأرض مثل الإسفنج، فإنها تنقّط الدم والدموع.

ليس الكلّ خونة: الشيخ جاورجيوس كابسانيس، رئيس دير غريغوريو في أثوس: في كل جيل، ليس الكلّ يخونون ولا الكلّ يفرّون. البعض يبقون مخلِصين. البعض يتابعون الصراع. البعض لا يستبدلون إيمانهم بالإله الحقيقي بأي شيء عالمي أو دهري. في مطلق الأحوال، هذا هو سبب وجود الشهداء.

القديس باييسيوس

والشاب ذو الميول البروتستانتية*

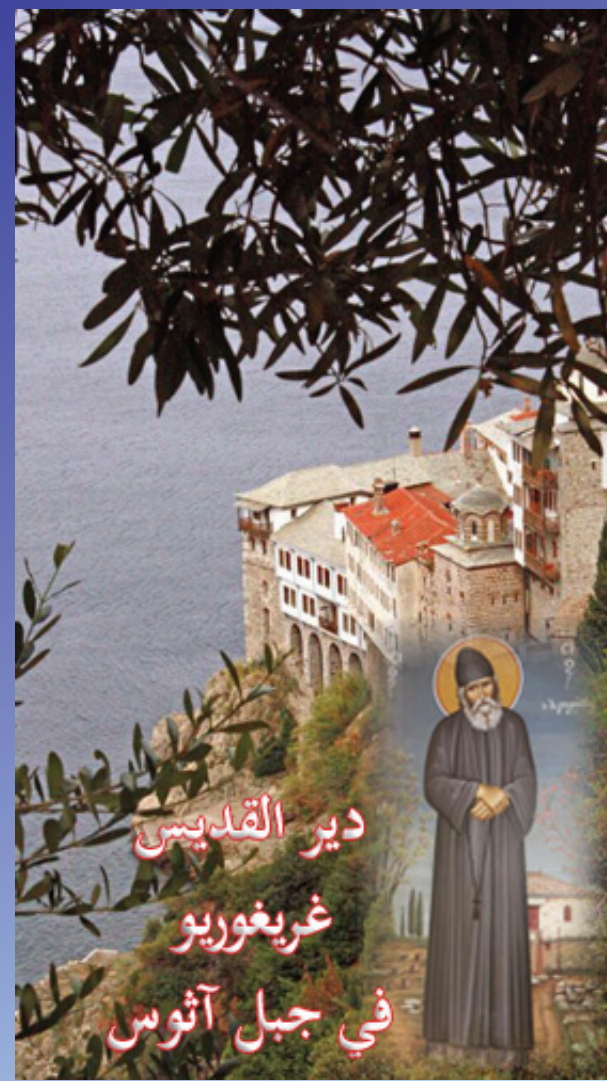

نُشر هذا الحوار، الذي يدور بين الأب باييسيوس وشاب تقي **خُدع بتعاليم البروتستانتية**، في نشرة **"القديس غريغوريوس" السنوية الصادرة عن دير غريغوريو في الجبل المقدس، في العام ١٩٩٥**.

هذا الشيخ، الذي قدّم أجوبة بسيطة على أسئلة الشاب الوجودية، خلّص هذه النفس من الضياع وأعادها إلى حضن الكنيسة الأرثوذكسية. وقد سمح الأرشمندريت جاورجيوس، رئيس دير غريغوريو، بإعادة نشر نصّ هذا الحوار.

المرض الشديد يتطلّب مستشفى كبيرًا:

في النهاية، قرّرتُ الذهاب إلى الكنيسة الأرثوذكسية. اعترفتُ وبدأتُ بتناول القدسات بتواتر. لكن بقيَتْ تراودني عدّة أسئلة جِدّية لم أستطع إيجاد أجوبة عليها. فتّشتُ عن هذه الأجوبة عبر لقاء لاهوتيين وكهنة، لكن دون جدوى.

"كوستا، مهما حاولتُ، فلن أرضيك بأيّ جواب. أنت تريد أن تفهم أسرار الله بواسطة عقلك، وهذا ليس أرثوذكسيًا. أمرٌ وحيدٌ سيخلّصك: لنذهب إلى الجبل المقدس، أتأتي؟"

كان هذا رأي أرشمندريتٍ أؤمن بأنّ الله قادني إليه. وبعد موافقتي على الذهاب، أخبرني عن جرّاح عظيم (وهذا وصفٌ من عندي) هناك، فقصدناه. اسمه **الأب باييسيوس**. وقد علمتُ لاحقًا أنّ شيخًا مباركًا آخر من بيرغوس قال عني: "إذا استقبله الأب باييسيوس، فهناك أمل، وإلّا فسيضيع في كبريائه". وكان على حق. لحسن الحظ أنّ المسيح أهرق دمه من أجل خطايانا، المجد لاسمه القدوس.

سأنقل بأكثر دقة ممكنة حواري مع الأب باييسيوس.

س: يعلّمنا الكتاب المقدس أنّ يسوع المسيح وحده يخلّصنا. أمّا في الكنيسة الأرثوذكسية، فنطلب من العذراء مريم أن تخلّصنا. هل هذا صائب؟

ج: يسوع هو المخلّص الوحيد، لقد بذل ذاته من أجلنا. لكن اسمع، إذا كنتَ شخصًا ذا قدرة عظيمة ودخلتَ إلى المدينة مع والدتك، فجميع الذين ينتظرونك هناك سيرحّبون بك وبوالدتك، وسيمدحونها بأجمل الكلمات، حتى لو لم يعرفوا أيّ شيء عنها. وأنت ستبتهج عندما تسمعهم وستفخر بوالدتك. لذلك فالمسيح أيضًا يبتهج ويفتخر بوالدته حين يسمع مديحنا لها. انظر، إذا أتت امرأة فقيرة إلى والدتك وتوسّلتْ إليها لتطلب منك أن توظّفها، وأنت صنعتَ هذا المعروف لأمك، فستقول هذه المرأة الفقيرة إنّ أمك أنقذتها، رغم أنك أنت مَن وظّفها. حسنًا، لهذا نقول إنّ والدة الإله تخلّصنا. وابنها الذي هو القدير وحده، لكن متواضع، سيبتهج لسماعه مديحنا لوالدته.

س: علّمنا **الرب أنّ نصلّي لله الآب**. أما الكنيسة الأرثوذكسية فتصلّي لوالدة الإله والقديسين الذي هم بشر. هل هذا عمل صحيح؟

ج: اسمع، الصلوات كلّها تذهب نحو الله. نصلّي للعذراء مريم . وللقديسين، أي نطلب منهم أن يصلّوا من أجلنا للرب، وصلواتهم لها قدرة كبيرة.

س: أجل (قاطعته) لكنّ العذراء مريم والقديسين كانوا بشرًا وماتوا. هم لا يسمعوننا وليسوا موجودين في كلّ مكان. ربما يغضب الله لأننا نصلّي لهم؟

(هنا يجدر بي أن أشدّد بتأكيد على ما حصل لي. في اللحظة التي قلتُ فيها كلمة "لكن"، شعرت بحربة تثبّتني إلى الأرض من دون أن تؤلمني، ومن دون أن أصدر أيّ صوت، لكنّ شيئًا ما انفتح في داخلي وامتصّ كلّ ما قاله لي الشيخ.)

ج: يا بنيّ، بالنسبة لله، لا أحد يموت. عندما يموت أحدهم، فهو يموت بالنسبة لنا نحن الذين على الأرض، لا عند الله. وإذا امتلك هذا الشخص دالّة أمام الله، يُعَلِّمه المسيح بأننا نطلب منه أن يصلّي

من أجلنا، فيفعل ذلك ويسمعه المسيح ويبتهج. صلاة الصدّيق لها قوّة عظيمة.

س: يقول الرب: «أنا الرب إلهك. لا يكن لك آلهة أو صور. لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور». **والكنيسة الأرثوذكسية تكرّم الأيقونات**، فهل هذا تصرّف صحيح؟

ج: اسمع، هناك أمّ لها ولد في الحرب وتخاف عليه نهارًا وليلًا، وتشعر بالقلق الكبير من أجله. وفجأة، تصلها رسالة من ابنها وفي داخلها صورة له. ماذا تفعل عندما تراها؟ تحملها بيديها وتقبّلها ثم تضعها في حضنها لتلمس قلبها. إذًا ماذا تظنّ؟ أتؤمن هذه الأم، التي تشعر بالعاطفة المتّقدة تجاه ابنها، بأنها تقبّل الصورة؟ هي تؤمن بأنها تقبّل ولدها. والأمر ذاته بالنسبة لمن يملكون محبّة متّقدة للعذراء مريم أو القديس المرسوم في الأيقونة التي يكرّمون. لا نكرّم الأيقونات من أجل الأيقونات، بل من أجل القديسين، وليس من أجلهم بحدّ ذاتهم، بل لأنهم جاهدوا من أجل المسيح. صحيح أنّ الله غيور، إنما ليس من أجله بل بسبب الشرّير. لا يغار الأب من أولاده. لا تقلق، يبتهج الرب عندما يرانا نكرّم ونحب أمّه والقديسين.

س: ماذا عن البروتستانت، الإنجيليين، الخمسينيين؟

ج: كان **للوثر** مأخذ على **البابا**، ولهذا كان مبرّرًا. لكن إن كان صادقًا، فلمَ لم يذهب إلى الكنيسة الأرثوذكسية التي لم يكن له أيّ مأخذ عليها؟ بدلًا من ذلك، أنشأ لنفسه "**كنيسة**" أخرى. اتركهم وشأنهم، ولا تذهب إلى هناك ثانية. اذهب إلى الكنيسة، واعترف أنت وزوجتك لدى الأب الروحي ذاته، وسيكون كلّ شيء على ما يرام.

س: أيها الأب باييسيوس، لا أعرف كيف أصلّي. كيف عليّ أن أصلي؟

ج: عليك أن تشعر بأنك طفل صغير وبأنّ الله أبوك. إذًا، ابحث عنه. لا تحزن إذا طلبتَ منه أمورًا تافهة، فهو لن يغضب. هو يرى قلبك وسيمنحك الأنسب لك. ذلك مثل طفل يسأل والده أن يشتري له دراجة نارية، لأنه يظن أنه كبير كفاية. لكنّ الأب، الذي يخاف أن يقع سوء لابنه، سيبطئ في منحه ما يريد، وفي النهاية سيشتري له سيارة.

أشكر الله وأمجّده لأنّه جعلني مستحقًّا أن أعرف رجلًا قديسًا عندما كان حيًّا، وأن يرشدني وأن يصلّي من أجلي ومن أجل عائلتي.

حقًا كم الله عجيب. كم هو كثير الإحسان وكثير الرحمة! المجد لاسمه القدوس. هكذا أصبحتُ – بل الله هو من جعلني – مسيحيًّا أرثوذكسيًّا، من دون أن أنسى بالطبع أمرًا قاله لي الأب باييسيوس، وهو أنّنا في كلّ لحظة تحت الامتحان.

* عن مجلة Dialogos،

ترجمة إلى الإنكليزية جون سانيدوبولوس.

نقلتها إلى العربية جولي عطية.

الإنسان المولَع بالجَدَل – للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

الإنسان المأخوذ في الجَدَل يصير سيفًا مزدوج الحدّ ضد نفسه، من دون أن يعرف ذلك، مغرِّبًا نفسه عن الملكوت. **الإنسان ٱلْمُولَعُ بالجَدَل** يسلّم نفسه عمدًا إلى ملك أعدائه. حجته هي خيط صيد متداخل مع شيء من الصدق: الدفاع عن الحقيقة وتبرير الذات والدفاع عنها، وهذا ما يشدّه إلى ابتلاع صنارة الخطيئة. من ثمّ تسلبه أرواح الشر نفسه الفقيرة، بعد أن عقفته من لسانه وحلقه. نفسه المتعلّقة بالجدل ترتفع تارةً إلى فوق، وتارةً تغرق في هاوية الخطيئة المشوّشة، وبهذا يُحكَم عليها مع الأرواح المطرودة من الملكوت.

الرجل الذي يحمل جرحًا عميقًا من التحجج الاستفزازي والتعسفي يؤوي في أعماق نفسه أفعى الخطيئة القديمة. إذا احتمل ضربات جداله بصمت، أو أجاب باتضاع كبير يجعل هذه الأفعى بلا قوة، أو ربما يقتلها. لكن إن جادل بمرارة أو استكبار فهو يزيد من قوة الأفعى لتصبّ سمًّا أكبر في قلبه، أو تبتلع أحشاءه من غير رحمة. باكتسابها القوة يوميًا، تنتهي الأفعى بالتهام نيّة نفس الرجل المسكين وقدرتَه على تغيير أسلوب حياته. ومن ثمّ يسلك الرجل في الخطيئة ويموت عن الحق.

بالصلوات والدموع والتحرر من الأهواء، توسَّلْ إلى الله لأن يرسل لك معلّمًا قديسًا. ادرسْ أيضاً الكتب المقدسة، خاصةً كتابات الآباء القديسين العملية لكي تقارنها بما يعلّمه إياك معلّمك ومؤدّبك. وهكذا سوف ترى كما في مرآة إلى أي مدى تتطابق. احفظْ في أفكارك ما يتطابق مع الكتابات الإلهية. وبعد تأنٍّ حكيم ضعْ جانبًا ما لا يتطابق حتّى لا تسقط في الخطيئة.

إن الازدياد من معرفة الله يقلّل الاهتمام بما عداها. بقدر ما يزداد الرجل معرفةً بالله، يقلّ اهتمامه بالأمور الأخرى. ويزداد إدراكه لقلّة معرفته بالله وضوحًا. بقدر ما يشعّ الله لامعًا في نفس الإنسان يصير أكثر احتجابًا، وبقدر ما يحلّق الإنسان بحسّه فوق أحاسيسه تقلّ حاجته إلى الإحساس بالأمور الخارجية.

مَحَبَّةُ ٱلذَّاتِ

الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس

أحد الأهواء الرئيسة التي تسود على الإنسان هي **محبة الذات**. كما سنرى فيما يلي، محبة الذات هي أم كل الأهواء والرذائل ومرضعتها.

قال المسيح مشيرًا **لمحبتنا لذواتنا** تلك: « مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يو١٢: ٢٥). الكلمة المترجمة «حياة» تعني أيضًا «نفس». إنها حقيقة أن أيًا من يحب حياته وذاته لدرجة مبالغ فيها يهلك تمامًا. عندما يصف القديس بولس الأهواء التي سوف تميز الناس في الأزمنة الأخيرة فإنه يذكر **محبة الذات** من بينها، بل أنه يضعها في أول القائمة: «وَلكِنِ اعْلَمْ هذَا أَنَّهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ، لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنِسِينَ،» (٢تي٣: ١-٢).

هذان المرجعان من الكتاب المقدس كافيان في حد ذاتهما لإظهار الضرر الكبير الذي يسببه هوى **محبة الذات** للجنس البشري. سوف أحاول الآن وصف **محبة الذات**، وتحليلها لكي أحدد نتائجها الأليمة، ولكي نرى في النهاية كيف يمكن أن نتحرر منها.

١) – ما هي محبة الذات

محبة الذات هي محبة عظيمة وطاغية لذواتنا. بحسب القديس نيكيتا ستيثاتوس، **محبة الذات** هي «حُب مجنون للجسد يجعل الراهب محبًا لنفسه، أي لنفسه وجسده». إنها تغرّبه عن ملكوت الله، وعن الله نفسه. لو أن أحدًا أحب جسده بطريقة زائدة وحصرية، متجاهلًا الله وأخاه الإنسان تمامًا ، فإننا نقول أنه يحب ذاته ويعاني من هوى **محبة الذات**. يقول القديس مكسيموس المعترف: «محبة الذات هي هوى التعلق بالجسد». يشير نفس القديس في موضع آخر لهذا الهوى على أنه «محبة مجنونة للجسد».

نستطيع أن نقول بوجه عام مع القديس مكسيموس أن **محبة الذات** هي «محبة شهوانية مجنونة للجسد، وعكسها هي المحبة وضبط النفس».

تضاد **محبة الذات** المحبة وضبط النفس، تمامًا كما تضاد المحبة وضبط النفس **محبة الذات**. من الواضح أننا لا نعني **بمحبة الذات** الاعتناء بالجسد في إطار طبيعي، لكننا نعني الاهتمام الزائد الشهواني بكل من الجسد والنفس.

يكتب القديس مكسيموس محللًا السِّمَات المميزة **لمحبة الذات** قائلًا أن هوى **محبة الذات** «يقترح على الراهب أنه ينبغي عليه أن يشفق على جسده، وأنه ينبغي عليه تحت مسمى رعايته بشكل مناسب أن يأخذ طعامًا أكثر من المعتاد». هكذا، قليلًا قليلًا، يسقطه في فخ الانغماس في الملذات على حين أنه يجعل العائشين في العالم «يُشبعون احتياجات الجسد دفعة واحدة». يحثنا هوى محبة الذات على أن نهتم أكثر مما يجب بالاستمتاع بالطعام والملذات الأخرى والراحة واليُسر، وأن نشبع الشهوات الأخرى المتنوعة. يجعلنا هوى **محبة الذات** نفضل «راحة الجسد على آلام الفضيلة»، ويجعلنا نكف عن أن نضع على أنفسنا بإرادتنا أعمالًا متنوعة «خصوصًا من جهة الجهادات الخفيفة المتعلقة بممارسة الوصايا». من ثم يجعل النفس متباطئة ومتراخية من جهة العبور في طريق الهدوئية، كما يقول القديس غريغوريوس السينائي. لا شيء يجعل نفوس المجاهدين في النسك «متباطئة ومهملة وغافلة» مثل هوى **محبة الذات**. هكذا يصف القديس نيكيتا ستيثاتوس أيضًا **محبة الذات** على أنها «**خبيثة**»، مشيرًا إليها على أنها «رذيلة محبة الذات الخبيثة».

المثال الدقيق على شخص **يحب ذاته** هو الغني الغبي في مَثَلِ المسيح. لقد كان يفكر في بناء مخازن جديدة لكي يجمع فيها كل خيراته ثم يقول لنفسه:« يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي!» (لو١٢: ١٩). لم يكن الرجل الأناني مهتمًا بالمرّة بشفاء نفسه أو بمجد الله، ولا بخدمة إخوته. لقد كان مهتمًا تمامًا بنفسه، وبنفسه فقط.

كل ما قيل حتى الآن لوصف هوى **محبة الذات** يقودنا إلى فحص نتائجه الأليمة.

٢) – نتائج هوى محبة الذات

يرى القديس نيكيتا ستيثاتوس أن **محبة الذات** هي «عقبة ضد تقدم أولئك المتقدمين جيدًا». إنها تمنع الناس من تكريس ذواتهم لممارسة وصايا المسيح. «إنها توحي لهم بأمراض وعلل جسدية خبيثة، وبالتالي تتضاءل غيرتهم ويقتنعون بالتخلي عن جهادهم الروحي على أساس أنه يشكل خطرًا على حالتهم الضعيفة». بكلمات أخرى، من خلال خلق أفكار عن الأمراض المختلفة، تكف النفس عن جهادها النسكي لكي تحفظ وصايا المسيح، ولكي تُشفى من الأهواء المختلفة التي تزعجها. بالتالي تكون **محبة الذات**، كما يقول القديس يوحنا السلمي، **حجاب**. إنها ليست فقط تمنع النفس من تحقيق شفائها، لكنها أيضًا تخفي الأهواء الموجودة داخلها. لا يريد الشخص الأناني أن يرى نفسه. إنه لا يريد أن يكون واعيًا بفقره الروحي.

يسمي القديس مكسيموس **محبة الذات أم كل الرذائل**، لأنها تلد

«الأفكار الثلاثة الأولى والأكثر عمومية التي للشهوة والغضب». هذه الأفكار الثلاثة هي **النَّهَمُ، والبخل، وتقدير الذات**. يرى نفس الأب أن **محبة الذات** هي **أم الثرثرة واشتهاء الأطعمة اللذيذة التي تسبب الإباحية**، وهي أيضًا أم البخل والكبرياء. بوجه عام، لو كان لدى المرء **محبة الذات** «فمن الواضح أن لديه كل الأهواء».

ليست **محبة الذات** أم الأهواء فقط، ولكنها أيضًا أم **لكل الأفكار الشهوانية**. يتولد فكر النجاسة من **فكر النَّهَمِ**. **يحبل فكر تقدير الذات بفكر العُجب**. تنبع من أفكار النَّهَمِ والبخل وتقدير الذات كل الأفكار الأخرى **كالغضب، والحزن، والامتعاض، والحسد، والنميمة الخبيثة** وما إلى ذلك. تُوْلَدُ كل هذه الأفكار من **محبة الذات** (القديس مكسيموس).

يعلِّم القديس هيزيخيوس القس أنه لا يوجد شرّ أعظم من **محبة الذات**. **محبة الذات** هي أم تلد أطفالًا كثيرين. أطفال **محبة الذات** هم: «**العُجب، الرضا عن النفس، النَّهَمُ، النجاسة، تقدير الذات، الغيرة، ورأس كل هذه هو الكبرياء**».

محبة الذات هي حجاب يغطي النفس، «بحيث أنه لا يمكن أن تتكشف فيها أسس العالم، أي الجواهر الداخلية للأشياء»، وذلك بحسب قول إيليا القس. يكون الشخص الأناني أعمى تمامًا حيث أنه لا يستطيع رؤية القوة التي يوجه بها الله العالم والتاريخ. حيث أن الشخص الذي يحب ذاته لا يستطيع أن يتجاوز ذاته فيرى الله والآخرين، فإنه يكره كلاً من الإنسان والله. هذا هو السبب الذي يجعل القديس مكسيموس يأمر قائلًا: «كُف عن إرضاء ذاتك فلا تكره إخوتك من البشر؛ كُف عن محبة ذاتك فتحب الله».

٣) – شفاء محبة الذات

يحتاج الإنسان أن يتحرر من هذا الهوى الرهيب الذي «**للمحبة الخبيثة للذات**». لو أنه تصرف بطريقة ما لكي يزيل حجاب محبة الذات ويرى بوضوح الأهواء الخفية المترعرعة، فإنه سينتحب بمرارة وستصبح كل حياته غير كافية للتوبة حتى لو عاش مئات السنين، وتدفقت الدموع من عينيه مثل نهر الأردن. «إنه لن يهتم بشيء آخر في هذه الحياة، معتبرًا أنه ليس لديه الوقت الكافي لكي يبكي على نفسه، حتى لو كان سيعيش مئات السنين، وحتى لو رأى دموعًا تنفجر من عينيه مثل نهر الأردن بكامله» (القديس يوحنا السلمي).

يكمن الشفاء في اصطياد **محبة الذات** أينما وجدت. الطرق الرئيسة لتحقيق ذلك هي كالتالي.

ينبغي علينا أن نستسلم بالكامل لإنكار الذات. ينبغي علينا أن نكون مستعدين لتقديم أي نوع من التضحية، وأن نخضع بإرادتنا لأي نوع من الحرمان بهدف حفظ وصايا المسيح. يقدم لنا بولس الرسول دافعًا لكي نفعل ذلك عندما يقول: «وَلكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ.» (أع٢٠:٢٤). ينبغي على المسيحي لكي يُشفى من **محبة الذات**، وبالتالي من كل الأهواء المرتبطة بها، أن يكون مستعدًا لأي تضحية. ينبغي عليه أن يعمل عكس ما تمليه **محبة الذات** والأهواء العديدة الناتجة عنها. إنه يحتاج لضبط النفس في كل ما يعمله.

بالإضافة إلى ذلك، ينبغي على **النوس** (**النوس**: هو القوة الحاكمة في الحياة الداخلية) أن يلجأ إلى الله. يتأتى ذلك من خلال الصلاة وكل المنهج العلاجي الذي للتقليد الأرثوذكسي. عندما يتذوق نوسنا **حلاوة محبة الله**، فإننا نتحرر من هوى **محبة الذات**، ونجد شجاعة لكي نحفظ ناموس الله ولكي نراعي مشيئة الله في حياتنا.

ينبغي علينا أن نبذل مجهودًا لكي نظهر المحبة نحو الآخرين من الناس. حيث أن **محبة الذات** تجعلنا ننغلق على أنفسنا، فإننا نحتاج لأن ننفتح على إخوتنا. من أجل ذلك، ينبغي علينا أن نضحي تمامًا بأي شيء يجلب لنا الارتياح والراحة الجسدية. لقد عبَّر القديسون عن هذا الحب الباذل في حياتهم، حيث أنهم فضلوا خلاص الآخرين على خلاصهم. لا ينبغي إظهار هذه المحبة من خلال عطايا المال فقط، لكن «بالأكثر من خلال إعطاء المشورة الروحية والاعتناء بالناس في حاجاتهم الجسدية» (القديس مكسيموس).

بوجه عام، ينبغي أن تنمو بغضة الذات المقدسة. فكلما أبغضنا ذواتنا، تحررنا من **محبة الذات**، واتسع أفقنا الروحي. لقد علَّم المسيح قائلًا: «وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يو١٢:٢٥). في نص آخر يعلن المسيح ويطلب أيضًا: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا.» (لو١٤:٢٦). هذه البغضة المقدسة التي يجب أن تترسخ فينا تظهر بصورة رئيسة من خلال التوبة. فالتوبة الحارة المستمرة سوف تمنعنا من أن نحب أنفسنا برغباتنا الشريرة وأهوائنا الساقطة. تجعلنا التوبة نقسو على أنفسنا بحيث نرضي الله ونتبع مشيئته. إنها قاعدة للحياة الروحية، أننا كلما أحببنا ذواتنا كرهنا الله، وكلما كرهنا ذواتنا أحببنا الله.

ينبغي علينا أن نتحرر من «**محبة الذات الخبيثة**». للأسف، نحن نلاحظ أن كل طريقة الحياة محكومة بهذا الهوى. حتى المسيحيون واقعون بشدة في قبضته، أنهم لا يعيشون حياة المحبة. نحن مسيحيون، ومع ذلك لا نحب. تنقصنا السِّمَة المميّزة لتلاميذ المسيح **لأننا أنانيون، ذاتيون، منفردون**. ينبغي أن توجه كل جهودنا نحو التخلص من **حجاب محبة الذات** الذي يمنعنا من أن نصبح أشخاصًا وبالتالي أعضاءً حقيقيين في كنيسة المسيح ومواطنين في ملكوت السموات.

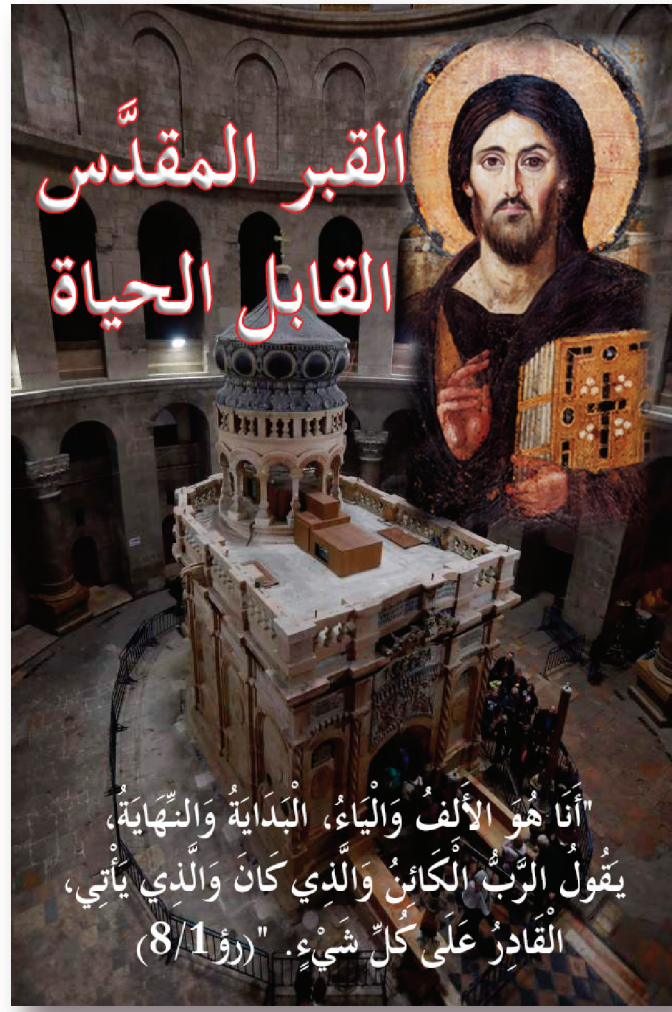

الإيمان القويم

القديس نقولاي فيليميروفتش

١١- لا تسأَل الإنسان المسيحيّ هَل يؤمنُ بالله، بل هل يؤمِن بالإنجيل، أي بالبشارَة، لأنّ مَن يؤكّد أنّهُ يؤمِنُ بالله وفقَ حُكمِهِ الخاصّ، لا وِفقَ الإنجيل، هو من أصحاب البِدَع الغامضة، ومن عابدي الأوثان، لأنّه يُقارِبُ الإيمان مقاربة فلاسفة الدِّيانات الشرقيّة وبلاد الإغريق منذُ ألفَي سنة. فلماذا إذًا نَزَل المسيح من السّماء؟ ولماذا خَتَمَ بدمِه اعتلانَهُ للعالم وبشارتَهُ؟ حقًّا إنّ مسيحيًّا كهذا يُلقي على رأسِهِ الدّم الطاهر لابن الله، على منوال الّذين صَرَخوا من قَبل: ''اصلبْهُ، اصلبْهُ!''

١٢- الكنيسة الأرثوذكسيّة وحدَها في كنائس المسيح لم تنفكّ منذ البدء تعترف بإيمانها بالإنجيل، من غير أن تنحَرِفَ لا يُمنَةً ولا يُسرة، وكذلك من دون أن ترتكزَ على سواها من الدّيانات والفلسفات الوثنيّة، والعلوم الطبيعيّة. لأنّه من السخافة والعَبَث أن نستدلّ طريقنا من أناسٍ حَسيري النَظر أو عُميان، فيما لنا دليلٌ مبصِرٌ وبَصير.

١٣- إنّ آباء الكنيسة ومعلّميها رفضوا بشدّة الفلسفات الإغريقيّة وأسرار الأديان الآسيويّة الشرقيّة والأفريقيّة، بعدَ أن آمنوا ايمانًا كاملًا بالمسيح وببشارته. وهذا ينطبق أيضًا على الّذين تلقّنوا العلوم الفلسفيّة في أثينا، مثل يوحنا الذّهبيّ الفم، وباسيليوس الكبير، وغريغوريوس اللاهوتيّ، بالإضافة إلى الّذين نشأوا في مصر أو في الجزيرة العربيّة والبلاد المجاورة لها، أمثال أنطونيوس الكبير، ومكاريوس، واسحق وأفرام السُّريانيّين، وسواهم.

١٤- هؤلاء الآباء المتضلّعون من الفلسفات الوثنيّة وأسرار الديانات الأخرى، هم بالضّبط أشرس المُدافعين عن الإيمان الخلاصيّ الوحيد بالانجيل، الإيمان ببشارة ابن الإنسان النّازل من السّماء، سيّما أنّهم عرفوا تلك المذاهب من مصدر مباشَر، وبلغتِها الأمّ. لم يقبَلوا بأيّة تسوية، ولا بأي تنازل حيال ما يَمُتُّ الى الأمور الأرضيّة الدّنيويّة، ولا إلى الانسان وفكر الإنسان، ولا إلى ما ينشأ أو يَظهرُ خارج المسيح والإنجيل...

١٦- هذا لم يَكُن شأنَ المعلّمين المنحرفين. فمن ضُعفِ إيمانهم بالإنجيل ومن خوفِهم العالَم، استعانوا بالفلسفة الهلّينيّة وأسرار الأديان الآسوية الشّرقيّة والإفريقيّة، كما بالعلوم الطّبيعيّة الشائعة في الغَرب، لكي يُبرْهِنوا حقيقة اعتلان المسيح. هكذا ظهرت مدارس متنوّعة ومتعارضة... بَعضُها مستوحى من أفلاطون، وبعضها الآخر من أرسطو، ومدارس ثالثة مستوحاة من الفلاسفة الرّواقيّين، ورابعة من أفلوطين وخامسة من خرافات الدّيانات السرّيّة السوريّة والمصريّة والفارسيّة، ومدارس سادسة مستوحاة من التصوّف الهنديّ، ومختَلَف أشكال **السّحر والتّنجيم**. ولكن في الأزمنة الحديثة، ارتكزت هذه المدارس كُلّيًّا على أُسُس العلوم الطبيعيّة، حاسبةً إيّاها أقلّ خُرافة من الدّيانات السرّيّة الشّرقيّة.

١٧- هكذا تمَّ استدعاء **بعلزبول** لدعم المسيح وأُدخِلَ عِلم الشّياطين على الفلسفة المسيحيّة في الغرب كركيزة وأساس لها! ونتيجة ذلك، صار المسيح يُخفَّضُ أكثَر كأكثر من حيث ألوهتُه، ويُمجَّد أكثر كإنسان، إلى أن عاد وانتصر هذا المُهلِك، أي آريوس، وغَلَبَ في خطابات الهراطقة المعاصرين.

١٨- ثُمَّ لا نظلمنَّ الشياطين. فهي نفسها أدركت واعترفت أنّ في شخص المسيح كائنًا أسمى، كائنًا إلهيًّا سماويًّا، وذلك بشكلٍ أفضل من عدد كبير من اللاهوتيّين المنحرفين عن الإيمان... تَرى أَمَا صَرَخَت الشّياطين: « يا يسوع ابن الله العليّ؟» ألم تعترف قائلةً: « نحن نعلم مَن أنت : قدّوسُ الله» ؟ وكذلك «أنت هو المسيح ابن الله »؟ أمَا جاء في الإنجيل أنّ «الأرواح النّجسة، عندما رَأَتْهُ، ارتَمَتْ عند قدمَيه وصرخَت: ''انتَ ٱبن الله''» «أمّا المسيح فلم يَدَع الشياطين تتكلّم لأنّها عَرَفَتْهُ» (متى٨:٢٩، لو٨:٢٨ و ٤:٤١، مر١:٢٤ و ١:٣٤، و٣:١١).

٢٠- لماذا، يا تَرى، مَنَعَ المسيح الشّياطين عن تعريف البشر بأنّه المسيح، أي المَسِيّا ابن الله؟ لأنّ السيّد الحكيم المحبّ البشَر أبَى أن يَدَع الشّياطين تعلّم النّاس، ولم يَشأْ أنْ تُعلِنَه الشّياطين للنّاس. لا بل أراد أن يعرفَهُ النّاس، وأن يعترفوا به، من تلقاء ذواتهم، كمخلّص وإله

قبر السيّد المسيح بعد الانتهاء من أعمال الترميم التي استمرت قرابة التسعة أشهر

من خلال كلامه، وأعمالِه ومحبّتِه، ونَفحَتِه، وروحه. فهكذا لن تتمكّن الشّياطين الخبيثة من التباهي بأنّها أسهمَت في عمل المسيح، ولا من التّصريح بأنّ المسيح لم يستطِع أن ينير جنس البشَر ويخلّصَهُم.

٢٢- في زمن أقرب إلينا، بدأت بعض الكنائس المنحرفة تبني دعامات للإنجيل من مادّة النّظريّات العلميّة. فتمَّ استنباط نظرّيات كثيرة على أساس أنّها حقائق مطلقة، رغمَ أنّ أبرز علماء عصرنا كفّوا حتى عن النّظر إلى العلوم الوضعيّة كحقائق مطلقة، ناهيكَ عن النّظريات العلميّة.

٢٣- كما ألبسَ جنودُ بيلاطس المسيحَ رداءً أرجوانيًّا رخيص الثّمن، وكما وشّحه هيرودوس بثوب أبيض، هكذا ألبس اللاهوتيّون المنحرفون عن الإيمان المخلّص رداءً رخيصًا من الفلسفة الوثنيّة والعلوم الزّائفة. زعموا ان يزيّنوه هكذا ويلبسوه ثيابًا فُضلى. ولكنّ المسيح في الحالتين تعرّض للسخرية والإذلال.

٢٤- وحدَها الكنيسة الأرثوذكسيّة في العالم حَفِظَت الإيمان بالإنجيل كحقيقة واحدة مطلقة، حقيقة لا تحتاج لأيّ دعم ولا معونة من أيّ فلسفة او علم ممّا في هذه الدُّنيا.

٢٥- ثمّ إنّ اللاهوتيّين من المنحرفين عن الإيمان يطلقون على الكنيسة الارثوذكسيّة إسم "**الكنيسة المتحجّرة**" من باب الإهانة. وما السّبب؟ السبب، كما يقولون، هو أنّ الكنيسة هذه "**تجري بخلاف الزمن**"، و "**لا تواكب العصر**"! ولكن هنا تمامًا تكمن **قيمة الأرثوذكسيّة**، في أنّها تجري بخلاف الزّمن، ولا تواكِبُ التطوُّر، وفق وصيّة بولس الرسول: «لا تسيروا بحسب هذا الدّهر» (أف ٢:٢٢)

٢٦- ولكن كيف يُمكِن أن تَجري الأبديّة بمَجرى الزّمن؟ وكيف يواكِبُ المُطلَق الزّائلات؟ كيف يتماشى **الملكوت السّماويّ** مع **الملكوت الأرضيّ**؟ كيف يلتصق ما هو جزيل القيمة بِما لا قيمة لَهُ؟ «حتى لو كان العالم كلّه تحت سلطان الشرّير» (١يو ٥:١٩)، كما هو مكتوب، فهل ندعَم الخير الأزليّ بالشرّ، أو هل نزيد بريق النّور السماويّ بدُخان حريق الفحم وبزيت النّفط؟

٢٧- طبعًا لا تخلو حتى الكنيسة الأرثوذكسيّة من لاهوتيّين اتّبعوا خُطى الانحراف، وظنّوا أنّ الانجيل ليس على القوّة الكافية ليَثبُتَ من ذاته ويواجهَ هياج الرياح العالميّة. لذا سيطرت عليهم أفكار المنحرفين عن الإيمان وأساليبُهم...

٢٨- الكنيسة الأرثوذكسيّة كجسد واحد ترفض هؤلاء... ولا تتبنّاهم. ولكنّها تتسامح معهم لسببين. أوّلًا بانتظار أن يتوبوا ويتغيّروا، وثانيًا لكي لا تُضاعِف الشرّ بفصلِهم عنها، فتتسبّب في سقوطِهم، ودفعِهم إلى حَظيرة الهراطقة...

٢٩- لقد قال سيّدُنا له المجد: «أنا لا أطلُبُ مجدًا من النّاس» يو ٥:٤١). أمّا اللاهوتيّون المنحرفون فموقفهم معاكسٌ تمامًا لموقف مخلّص العالم. إنّهم يطلبون مجدًا من الناس، ويخافون جانِبَهُم. لذلك يتمسّكون بأهداب المَدعوّين "**مشاهير**" في تاريخ الإنسانيّة، لكي

يجدوا إثباتات لكلام الإنجيل، ويتملّقوا رجال الدّنيا أكثر فأكثر. ويبرّرون أنفسهم بالقول: "**هكذا نودّ أن نَربَحَهم**". يا للضّلال! فبِقدرِ ما يَغرقون في إطراء العالم، بحجة أن يُقَرِّبوه من الكنيسة، بقدر ما يبتعد هذا العالم الّذي يَمدحونَه عن الكنيسة. وبقدر ما يزدادون من "**العِلم**" و"**قلّة الروحانيّة**" و"**الحداثَة**"، بقدر ما يزداد العالم احتقارًا لهم. والحقّ إنه يستحيل أن نوفّق بين العالَم والله. إلى ذلك، كلّ مسيحيّ يعلم بالخبرة أنّه قد يتوصّل إلى إرضاء الله، أقلُّهُ بالحقّ والعدالة، أمّا العالم، فلا يُمكن إرضاؤه لا بالحقّ، لا بالكذب، لا بالعدل، ولا بالظّلم. لأنّ الله تعالى أزليٌّ لا يتغيّر، فيما العالم زمنيّ ومتقلّب.

٣٠- لقد قال سيّدنا له المجد للعبرانيّين: «كيف تؤمنون وأنتم تطلبون مجدَ بعضكم بعضًا، والمجد الّذي من اللّه الواحد لا تطلبونه»؟ (يو٥:٤٤).هذا ينطبق تمامًا على اللاهوتيّين المنحرفين عن الإيمان ... فلو طَلَبوا مجد الله لآمَنوا بالإنجيل، وما انحَرَفوا يمينًا ويسارًا. ولكنّهم رغبوا في مجد النّاس ونيل الثّناء منهم، ولذلك مالوا إلى إثبات شهادة الله وتأكيدها من خلال شهادات الناس ... ذلك أنّ السّعي لموافقة شهادات الناس كبرهان على شهادة الله، أي كبرهان بشريّ يثبت قول الله، إنّما هو ضربٌ من الإهانة لله تعالى!

٣١- تُرى ما عواقب هذه التّنازلات للعالم الضالّ؟ إنها كارثة! حقًّا إنها كارثة بحقّ الإنجيل وبحقّ الحياة الفرديّة والاجتماعيّة... إنّها كارثة إيمانيّة، ثقافيّة، اقتصاديّة، سياسيّة وخُلُقيّة، تطال أيضًا الحياة الزوجيّة. أجل، هي كارثة لنا جميعًا، ولكلّ شيء، لأنّ علاقتنا بالمسيح، وهو رسول البشارة بالخلاص، تحدّد علاقاتنا كلّها بالآخرين بدقّة الآلة الحاسبة.

٣٢- لقد قال المسيح:«من دوني لا تستطيعون شيئًا» (يو١٥:٥)، فيما العالم الضّالّ يعبّر بآلاف الطّرائق عن الفكرة التّالية: "**من دون المسيح نستطيع كلّ شيء**". الثقافة العصريّة كلّها تَحَدٍّ للمسيح. العلوم الحديثة كلّها تتنافس في إسداءِ عِلْم المسيح الضّربة الأعنَف. إنّ ثورة علوم هذه الدُّنيا ضدَّ علم المسيح السّماويّ أشبَه بثورة الجواري السّفيهات ضدّ معلّمتهنّ. أمّا في أيّامنا، فتنتهي هذه الثورة بتحقيق ما هو مكتوب على أوضح ما يكون: «زعموا أنّهم حُكماء، فصاروا حَمقى» (رو١:٢٢).

٣٣- لَعَمري، لم نَعُدْ نَعلَم أين تكمن الحماقة الكُبرى لهذا العالم المعاصر الّذي انفصَلَ عن المسيح: أفي الحياة الشخصيّة للفرد، أم ضمن الزّواج، أم في المدرسة، أم في الحياة السياسيّة، أم في النّظام الاقتصاديّ، أم في القوانين، أم في الحرب، أم في السِّلم. في كل مكان يظهر أنّنا وصلنا إلى أقصى تعبير عن هذين الأمرَين: الابتذال، والوحشيّة. وكلما غاب المسيح، تضاعف الابتذال والوحشيّة. كذبٌ وعُنفٌ في أَوج الظّفر.

٣٦- لقد وجّه اللّاهوتيّون المنحرفون عن الإيمان الضربة الأقسى للإنجيل عندما شكّوا بألوهيّة المسيح. بعضهم شكّكَ بها واكتفى، فيما بعضهم الآخر رفضها تمامًا. هذا سرعان ما أَسفَر عن سلسلة من التنكُّرات للحقائق الروحيّة، كإنكار وجود الملائكة والشياطين، وإنكار وجود الفردوس والجحيم، وإنكار المجد الأبديّ للقدّيسين والصّدّيقين، وإنكار الصوم، وإنكار قوّة الصليب، وقيمة الصلاة وما إلى ذلك.

٣٧- ورأس الكلام أنّ اللاهوتيّين في الغرب انصرفوا إلى تكييف الأمور وتوحيد المقاييس، سيّما في السنوات المئة والخمسين الأخيرة. لقد كيّفوا السماء بحسب الأرض، والمسيح مع سائر "**مؤسّسي الدّيانات**" وبشارة الخلاص مع العبادات اليهوديّة والإسلاميّة والوثنيّة. هذا كلُّه تحت شعار "**التّسامح**" المزعوم، من أجل "**مصلحة السّلام**" بين الناس والأمم. ولكن هذا تمامًا ما خَلَق وأطلقَ ثورات وحروب لا سابق لها، في تاريخ العالم. فإنّ الحقّ الأسمى لا يمكن أن يتكيّف مع الحقائق النّاقصة والأكاذيب المفتعلة.

٣٨- إنّ المذهب الصّوفيّ الّذي يقول بأنّ الحقيقة منتشرة في الأديان كلّها، وسائر الفلسفات والدّيانات السرّيّة استقرّت كذلك لدى اللاّهوتيّين المنحرفين عن الإيمان في الغرب. لذلك قالوا إنّ المسيحيّة تحوي بعض الحقيقة، كما في الإسلام، والهندوسيّة، والبوذيّة، أو عند أفلاطون وأريسطو أو في الزارادشتيّة أو تعاليم أهل التّيبت وصلواتهم (التانترا والمانترا). فلو كان الأمر حقًّا على هذه الحال، لهامَ مركَبُ البشريّة هيامًا بلا رجاء على صفحة محيط الحياة القاتم، من دون قبطان ولا بوصلة.

٣٩- فلماذا إذًا لفظَ المسيح هذا القول العجيب: « أنا هو الحق»؟ (يو١٤:٦) فهو لم يَقُلْ: « أنا جزء من الحق» بل « أنا هو الحق». وقال أيضًا: « أنا هو نور العالم» (يو٨:١٢). هو إذًا الحقّ كلّه والنور كلّه. وبحسب كلامه أيضًا، هو الطريق الوحيدة إلى الحياة الأبديّة. وبحسب كلامه أيضًا، هو الوحيد الّذي عَرَفَ الله، وقد قال للعبرانيّين: «أنتم لا تعرفونه، أمّا أنا فأعرفه، ولو قلتُ إنّي لا أَعرفُه كنتُ مثلَكم كاذبًا» (يو ٨:٥٥). ألعلّ المسيح أخطأ أم خَدَعَنا ؟! ألا سامحنا الله على طرح مثل هذا السؤال!

٤١- إن الشعوب الأرثوذكسيّة تؤمن وتعترف بأنّ المسيح [يسوع]هو الماسيّا المنتظر وحدَه، مخلّص العالم وفادي جنس البشر، ومُجَدِّد الإنسان، وابن الله الّذي تجسّد من مريم العذراء ومن الروح القدس، الإله من الإله، الحقّ الكامل، ينبوع الحياة، غالب الموت، مصدر القيامة، الطريق الحقيقيّة الوحيدة إلى الهدف الحقيقيّ، وديّان الأحياء والأموات.

* من "الإيمان الحياة بحسب الإنجيل، بشرى الخلاص في الكنيسة الأرثوذكسيّة، مقتطفات من (مئويّة ليوبوستينيا Lioubostinia) ترجَمته عن الفرنسيّة بتصرّف السيدة مايا اسطفان، مراجعة راهبات دير رقاد السيدة – كفتون، المصدر الأساسي:

Centurie de Ljubostinia» in Vélimirovitch, St Nicolas. La» foi et la vie selon l'Evangile. Editions l'Age d'Homme (10 mai 2007). Col.Grands Spirituels Orthodoxes du XXe siècle. Traduit du serbe par Zorica Torzic

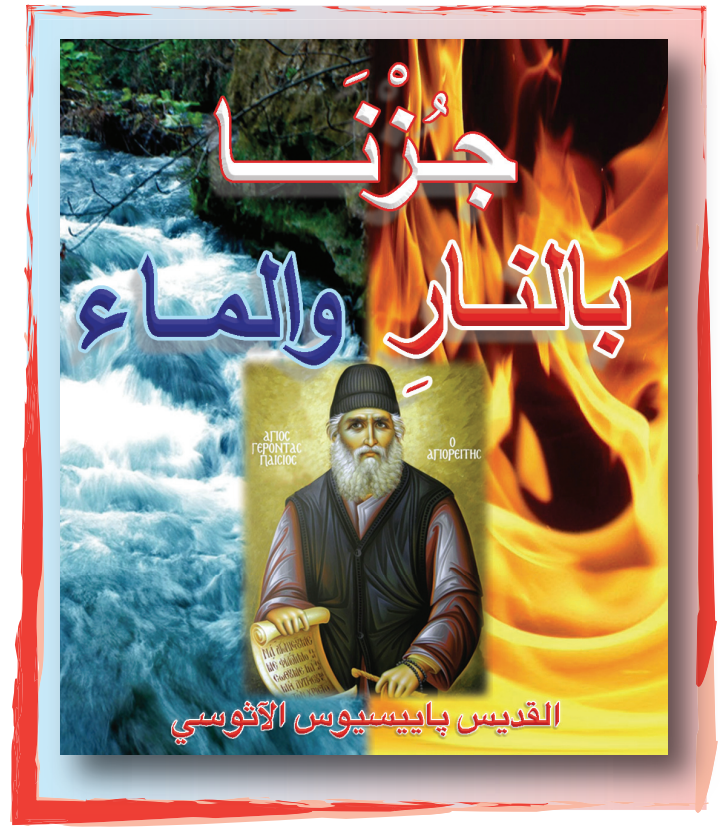

✝ التضحية من أجل المرضَى ✝

إذا طلبنا من الله طلبًا ما، دون أن نُقَدِّم أي تضحيةٍ، فلن نستفيد شيئًا. لو جلستُ وقلتُ: «يا الله اشفِ هذا الانسان»، دون القيام ببعض التضحياتِ، فهذا سيكونُ مجرَّد ألفاظ وكلماتٍ حلوةٍ. أمَّا إذا قَدَّمتُ بعض التضحياتِ، فسيرى المسيح محبَّتي ويحقِّق طلبي، هذا طبعًا إذا كان لمصلحة الشخص الآخر. لذلك، عندما يطلبُ منكِ البعضُ الصلاةَ لأحد المرضَى، فيجب أن تطلبي منهم أن يصلُّوا هُم أيضًا من أجله، أو على الأقل أن يُجاهدوا للتخلّص من عاداتاهم السيِّئة.

أتى أحد الأشخاص وأخبرني: «أيها الأب، اشفني. لقد سمعتُ أنَّك تستطيعُ مساعدتي». مثل هؤلاء الناس يسألون المساعدة دون تقديم أيِّ جهدٍ من طرفهم. على سبيل المثالِ، قد تنصحين أحدهم: «لا تأكل الحلويات، فقط قُم بهذه التضحية البسيطةِ، والله سيساعدك». لكنَّه سيجيبُكِ: «لماذا؟ ألَا يستطيع الله مُساعدتي دون هذا الأمر ؟». فإذا لم يقدِّموا تضحيةً من أجل مصلحتهم الشخصيّة، فكيف سيُضَحُّون من أجلِ غيرهم؟ من ناحيةٍ أُخرى، يوجدُ أشخاصٌ سيمتنعون عن أكلِ الحلويات، لكي يُساعِد المسيح مرضى السكَّري، أو قد لا ينامون لكي يهب المسيح القليل من النوم للذين يعانون من الأرقِ. هؤلاء الأشخاص يتمثَّلون بالله، وهو بدوره سَيَهَبُهُم نعمته.

عندما يُخبرني أحدهم أنّه لا يستطيع الصلاة من أجل مريضٍ ما، فأنا أطلب منه أن يقدِّم تضحيةَ ما من أجل هذا المريض. وعادةً ما أَطلبُ منه فِعل شيءٍ ما يُفيد صِحته أيضًا.

أَتى إلى قِلّايتي أبٌ من ألمانيا وأخبرني عن ابنته التي تعاني من الشللِ في أُولى مراحلِه. وقد قالَ الأطباء أنّه لا يوجد شيءٌ أكثر يُمكن فعلُه لهذه الطفلة. كان الوالدُ التعيسُ يائسًا، فقلتُ له: «قُم ببعضِ التضحية من أجل ابنتكَ. انتَ لا تستطيعُ القيام بالسجداتِ ولا أن تُصَلِّي. حسنًا. كم عدد السجائر التي تُدخّنها يوميًّا؟» فاعترف قائلًا: «أربع علبٍ ونصف». فطلبتُ منه: «دخِّن فقط علبة واحدة، وأَعطِ المال الذي ستَدّخرهُ لأحد الفقراءِ».

أجابَ قائلًا: «إشفِ ابنتي، أيّها الأبُ، وسأُقلِع عنِ التدخين فيما بَعد».

لكنّني أَصَرَّيتُ قائِلًا:«لكن عندها، ستذهب تلك التضحية سُدىً، يجب أن تتركَ التدخين الآن. ارْمِ تلك السجائر بعيدًا». ثم سألته، «هل تُحب ابنتك؟» فصرَخَ قائلًا: «أنا، هلْ يُعقَل ألَّا أحبَّها؟ أنا مستعدٌ من أجل محبتي لها أن أقفز من الطابقِ الخامس!».

«أنا لا أطلب منك أن ترمي بِنفسِك من الطابق الخامسِ، بَل أطلب منك أن ترمي السجائرَ. إذا قمتَ بهذا العمل الأحمق وقفزتَ من الطابق الخامس، فستبقى ابنتُكَ في الشارع بلا حمايةٍ،وستخسر أنتَ نفسكَ. ما أطلبه منكَ سهلٌ للغاية. الآن، وهُنا، ارمِ سَجائركَ».

لكِن لم تُجدِ كلّ الكلمات نفعًا في دفعه للتخلّص من السجائر. وبالنهاية، غادرَ باكيًا وعلبة السجائرِ في يدِهِ. كيف يمكنُ مساعدة شخصٍ كهذا؟ أمَّا الذين يُصغون بانتباهٍ ويقبلون النصيحةَ فينتفعونَ كثيرًا.

رَجلٌ ثانٍ أتى لزيارتي، وهو يَلهثُ مِن المشي. وقدِ استنتجتُ أنَّه مُدخِّنٌ من العيار الثقيلِ، «أيّها الرجلُ المبارك، أنتَ تُدَخِّن كثيرًا وهذا سيضرُّ صحتكَ». وحالما التقط انفاسَه واستطاع الكلام قالَ لي، «زوجتي مريضةٌ جدًّا وهي تُحتَضَرُ.أرجوكَ صَلِّ لكي تحدث أعجوبةٌ معها. فقد رفع الأطباء أيْدِيَهُم ولم يَعُد بوسعهم القيام بأيّ شيء».

سألته: «هلْ تُحبّ زوجتكَ؟». فأجابني: «نعم، أنا أُحبها». «إذًا، لماذا لا تفعلُ أنتَ أيضًا شيئًا ما لكي تُساعدها؟ لقد قامَت بكلِّ مَا يُمكنها فِعله، وكذلك الأطباء. وأنت الآن تَأتي إلى هُنا طالبًا منِّي أن أفعل شيئًا ما، وأن أُصَلّي إلى الله ليساعدها. ماذا فعلتَ أنتَ لتُساعدَ زوجتكَ».

فسألني: «ماذا يمكن أن أفعل، أيّها الأب؟».

«إذا أقلعْتَ عن التدخين. فسوفَ تتحسَّنُ زوجتكَ».

وقد فكّرتُ أنّه إذا كان شفاءُ الزوجة لا يُفيدها روحيًا، فعلى الأقل سيتَجنّب الزوجُ الأذى الناتج عن التدخين. وبعد مرور شهرٍ، عادَ إلَيَّ سعيدًا وشكرني قائلًا: «ياروند، لقد تركتُ التدخينَ. وصحةُ زوجتي جيِّدة». لكن بعد فترةٍ من الزمنِ، رجعَ حزينًا ليخبرني أنّها بدأ يُدخّن ثانيةً بالسرّ، وأنّ زوجته مرضت ثانيةً. فقلتُ له: «أنتَ تعرف الدواء. اقلع عن التدخين».

روح البنوّة

القديس غريغوريوس النزينزي

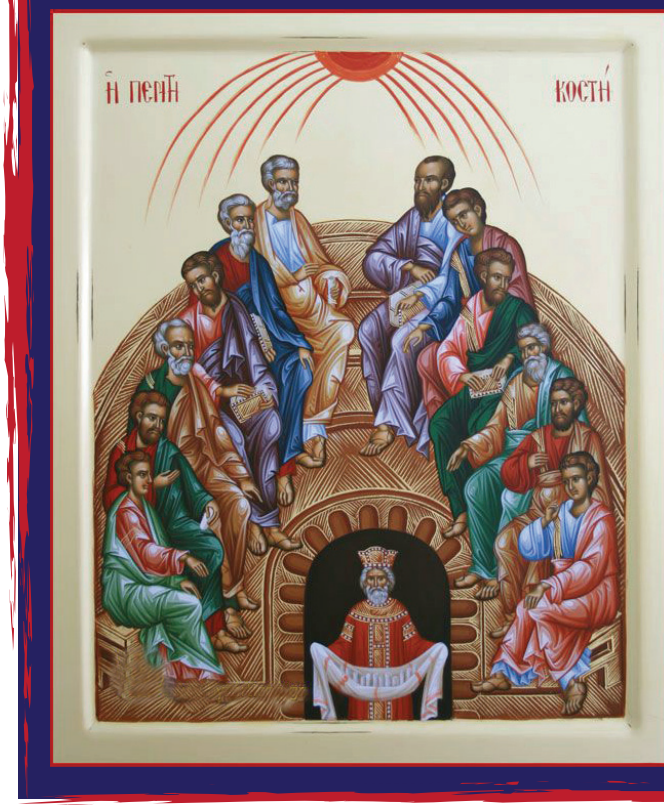

ها نحن نحتفل بعيد الخمسين وحلول الروح القدس وبالوقت الذي اكتَمَلت فيه المواعيد وأيضًا بتحقيق ما كنَّا نرجوه.

فكم هو فائق هذا السرُّ وكم هو عظيم، وكم هو جدير بكل توقير! فلقد انتهى الحديث عن كل ما يخص جسد المسيح أو بالحري عن كل ما يتعلّق بمجيئه كإنسان، ليبتدئ الكلام عن الروح.

فما هي تلك الأمور المتعلّقة بالمسيح؟

هي العذراء والميلاد والمذود، الأقماط، والملائكة الذين كانوا يمجدّونه، والرعاة الذين أسرعوا نحوه، والمجوس الذين سجدوا أمامه، والهدايا التي قُدّمت له، الأطفال الذين قتلهم هيرودس، ويسوع الذي هرب إلى أرض مصر ثم رجع منها بعد ذلك.

يسوع الذي خُتن، وتّعمد وشهدت له السماء، وجُرّب. وُرجِمَ بحجارة من أجلنا نحن الذين كان ينبغي أن يعطينا مثالًا للتألّم من أجل الكلمة.

يسوع الذي سُلِّمَ وصُلِبَ على الصليب وَدُفِنَ وقام وَصَعِدَ. وكثيرًا ما يناله حتى الآن من قِبَلِ الذين يمقتونه، وهو يحتمل لأنه طويل الأناة، وأيضًا من قِبَلِ مُحبِّيه بسبب سخطهم الدائم.

وكما يؤخّر الزجر عن أولئك كذلك يؤّخر الصلاح عن الآخرين، فعن الأولين يمهلهم الوقت لعلهم يقدّمون توبة، وعن الآخرين كي يمتحن محبتهم، وهو يفعل هذا كي يُعطِي فرصة للأولين للحزن على ما يفعلون، وللآخرين للجهاد في حُسن العبادة، كما يتّحدّد من فوق بواسطة العناية الإلهية، وكما يتبّين من أحكامه التي يقود بها بكل حكمه ما يتعلّق بشؤننا.

فهذه أذن هي الأمور التي تخص المسيح وسنبصرها بأكثر مجد فيما بعد لنشترك نحن أيضًا في تمجيده لأجلها.

أما الأمور الخاصة بالروح القدس، فَلْيَحْضُرني الروح لأتحّدث عنه، وليهبني أن أتكلّم بخصوصه، بمقدار ما أشتهي، وإلّا فليهبني على الأقل ما هو مناسب لهذا الحدث.

وعلى كل حال هو سيحضرُ كسَيِّدٍ وربٍّ وليس كعبدٍ ودون أن ينتظر أمرًا من غيره كما يظن البعض، «اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ» (يو٣:٨) وعلى مَنْ يشاء، ومتى شاء، وبالقدر الذي يختاره هو، وهكذا يلهمنا كي نعتقد ونتكلّم في الروح.

أما الذين ينزلون بالروح القدس إلى مرتبه المخلوقات (يقصد الهراطقة الذين كانوا ينكرون الوهية الروح القدس حاسبين أياه ضمن المخلوقات.)، فهم شتّامون وعبيدٌ أشرارٌ، بل وَشَرُّ من كل الأشرارِ لأن العبيد الأشرار هم مَنْ ينكرون سلطة الربِّ، ويتمردون عليه جاعلين مَنْ هم أحرارٌ عبيدًا مثلهم.

أما مَنْ يؤمنون أن الروح هو الله فهم مملوءُون بالله إذ أن أذهانهم مستنيرة.ومَنْ يدعونه أنه هو الله، فإن فعلوا هذا أمام أناس عقلاء، فهم يَتَّصِفُون بالاستنارة، أما إن فعلوا هذا أمام ضعفاء العقول فهم يَتَّصِفُون بعدم الفهم، وكأنهم يأتمنون أن يضعوا اللؤلؤة في الطين أو أن يسمع الأصم صوت الرعد، أو أن يتطلّع ضعيف النظر في الشمس، امّا الذين مازالوا يشربون اللبن على الأكل الدسم، لأنه من الواجب أن يقود المرء مثل هؤلاء خطوة خطوة للأمام، وأن يُصعِدهم رويدًا رويدًا إلى العلاء، منيرًا لهم الطريق بضوء قوي، وَمُهَيِّئًا لهم الحق بالصدق.

ولهذا السبب فإذ نترك نحن أيضًا الآن الكلام الأكمل (لأنه لم تأت ساعته بعد) فلنتكلم مع هؤلاء بمثل هذه الطريقة ونقول لهم:إن كنتم يا مَنْ تؤمنون بهذه الأمور لا تقبلون الروح، ولا حتى بكونه مخلوقًا ولا حتى بكونه غير زمني، فهذا كما هو واضح فعل الروح النجس (المعاند). لأنكم (وكما اعتقد) ستسمحون لغيرتي أن تتجاوز في الحديث قليلًا، أمّا إنْ أظهرتم على الأقل مقدارًا من التعقل حتى تحيدوا عن عدم التقوى الواضح هذا، وتمسّكتم بما يجعلنا أحرارًا من العبودية، فحينئذ افحصوا بالروح معنا ما يلي:

لأني أعتقد أنكم أنتم أيضًا شركاء الروح القدس، وسأفحص معكم هذه الأمور معتبرًا أيأّكم من الأخصاء، فالروح القدس هو كائن في كل حين، ولم تكن له بداية، ولن يكف على أن يكون هو دائمًا مع الآب والابن، لأنه لا يليق أن يكون الآب بدون الابن، أو الابن بدون الروح.

لأنه لو حدث هذا لكانت الإلوهه وكأنها قد فقدت مجد عظمتها، ولكانت وكأنها قد تدرَّجت من وضع إلى وضع حتى وصلت إلى الكمال.

فالروح القدس هو دائمًا مَنْ يُعطِي ولا يأخُذ، مَنْ يُتمِّم ولا يُتَمَّم، ومَن يُكمِّلُ ولا يُكَمَّلَ، ومَنْ يُقدِّسُ ولا يُقدَّسُ، يؤلِّه ولا يُؤلَّه هو واحد في ذاته وواحد في الذين يعمل فيهم. غير مرئي، لا يحتويه زمان ولا يسعه مكان غير المستحيل (أي أن طبيعته لا تتغير أو تستحيل إلى طبيعة أخرى.)، لا كمية له ولا كيفيّة ولا صورة له، غير الملموس، ذاتي الحركة ودائم الحركة، المستقل في فعله، الذاتي في قوته والكلّي في قدرته (حتى وإن كان كل ما يفعله الروح أو الابن الوحيد، منسوب للعله الأولى) (يقصد الله الآب.).

وهو الحياة ومعطي الصلاح (الخيرات)، هو روح الاستقامة، والمرشد، والقائد والمُرسَل، روح التمييز، صانع الهياكل لذاته، روح الإرشاد الفاعل بسلُطة (يرد هذا التعبير عن الروح القدس في صلاة استدعاء الروح القدس بالقداس الكيرلسي، وهو يوضح الوهيه الروح القدس وفعله الإلهي فينا.)، موزِّع المواهب، روح البنوّة والحق والحكمة والفهم والمعرفة والتقوى والرأي، والقوّة والمخافة، وهو روح كل تلك الأشياء التي سبق التنبؤ بها (إشعياء٩:١٠) .

والذي به نعرف الآب ونُمجّد الابن. وبالآب والابن والروح القدس نحن نعترف بإيمان واحد وعبادة وسجود وتقديس وكمال واحد.

وليس هناك ما يدعوني كي أطيل الكلام فكل ما للآب هو للابن ما عدا أن الآب غير مولود (أما الابن فهو مولود). وكل ما للابن هو للروح القدس، عدا كون أن الابن هو مولود (والروح منبثق). وهذا كله لا يُقسّم الجوهر الواحد حسب ما أقول، بل هو تمايز (للأقانيم) في الجوهر الواحد.

إكرم يوم الروح (أي إكرم يوم الخمسين.) وأمسك لسانك عن الكلام قليلًا لو كان هذا ممكنًا. فالحديث اليوم هو عن ألسِنة أخرى إما أن تقدرها أو تخاف منها وأيضًا تراها وقد نزلت مع النار (أنظر أع٢:٣ وما بعدها.) .

لقد عمل الروح القدس في الآباء والأنبياء فمنهم مَنْ قد تخيَّل الله وعرفه، ومنهم مَنْ كان قادرًا على التنبؤ بما سيحدث، إذ كان الروح القدس مطبوعًا في عقلهم فكانوا يعيشون المستقبل وكأنه حاضر. لأن هذه هي قدرات الروح. ثم بعد ذلك عمل الروح القدس في تلاميذ المسيح. ودعني أقول إنه كان مع المسيح، ليس كفاعل فيه لكن كمساوٍ له في الكرامة والمرافق له في كل ما فَعَلَ.

ولقد كان عمل الروح القدس في التلاميذ بثلاثةِ وجوه بمقدار ما كان في طاقتهم أن يسعوه في أوقات ثلاثة: منها قبل أن يتمجَّد المسيح بالآلام . وبعد تمجيده بالقيامة . وبعد صعوده إلى السموات، أو كما يُقال عند استعادته لكل شيء إلى الصواب.

ولقد اتضَّح هذا في أول معجزة شفاء وفي طرد الأرواح النجسة، والتي لم تكن تحدث إلَّا بعمل الروح القدس.

وأيضًا، نفخة الروح القدس بعد تمام التدبير، والتي كان من الواضح أن فيها عملًا إلهيًا قويًا، وما نحتفل به اليوم من نزول ألسنة النار المنقسمة على كل واحد من التلاميذ.

إلَّا أنه في الحالة الأولى كان حقيقيًا والثاني كان اوضحَ، أما اليوم فهو بشكل أتَّم من كل مرَّه، وهذا ليس لأنه حاضر بفعله، كما كان من قبل لكن كما يمكن أن يقال .

إنه حاضر حسب جوهره معنا لكي يعضِدنا. ولأن الابن كان لابدَّ أن يخاطبنا جسديًا لذا فقد ظَهَرَ في الجسد. ولما صعد المسيح، حلَّ الروح علينا، ومع أنَّه أتَى كرَبٍّ إلَّا أنه أُرسِلَ ليس كبديل لله. لأن هذه الأسماء توضّح بالأكثر الوحدة وليس التقسيم في الطبيعة.

لأجل هذا جاء الروح بعد أن صعد المسيح كي لا نفتقد المعزي.

ولقد قال المسيح إنه سُيرسِل «معزِّيًا آخرً» كي تتذكر أنت أن الروح هو مساوٍ في الكرامة للمسيح. لأن كلمة «آخر» معناها أنه «آخر» مساوٍ لي (أي للمسيح). لأني أعرف إن كلمة «آخر» تقال ليس عَمنْ هو غريب ومختلف، لكن عَمنْ له الجوهر نفسه.

ولقد حلَّ الروح علي هيئة ألسنة، لتشَابُه عمله بعمل الكلمة ونتساءل لماذا كانت هذه الألسنة تشبه النار (أعمال٢:٣ ...إلخ.).

ونقول كي يُطَهِّر. لأننا نعرف خاصيَّة النار في التطهير أو بسبب (خاصية) جوهر الروح، لأن إلهنا نار ونار آكلةٌ كلَّ الشرور.

ونقول عن الروح إنه إله حتى لو كان هذا الكلام مزعجًا للبعض بسبب القول إن الروح واحد في الجوهر (مع الآب والابن).

وأما أَنَّ الألسنة كانت منقسمة فذلك كان لاختلاف المواهب، وكونها كانت مستقرة فذلك بسبب مصدرها الملوكي، وأنها لابد أن تستريح فوق رؤوس القديسين مثلما يستقر الله في عرشه الذي يحمله الشاروبيم (إش٣٧:١٦.).

أما سبب حدوث ذلك في العُليّة (أع ٢:٢.) (إن لم أكن متجاوزًا في الكلام)، فبسبب السموّ الروحي لمِنَ كانوا سيقبلونه وعلّوهم عن الأرضيين، لأن بعض العلالي مبنيّه على مياه إلهية فيها يُسَبّح الله (مز١٠٣:٣).

كما أن المسيح نفسه في علّية قد أسّس السرّ، مع هؤلاء الذين كانوا مزمعين أن يخدموا الأمور الفائقة.

(وقد كان حلوله بهذا الشكل) كي يثبت أنه ينبغي أن يأتي الرَّب إلينا، كما حدث في القديم مع موسي (في العليقة. أنظر خر٣:٢)، كما نعرف، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كي نرتقي نحن، وهكذا تتم الشركة بين الله والإنسان بامتزاج الرتبة (أي يصبح أبن الله ٱبنًا للإنسان كي يصير ٱبن الإنسان ٱبنًا لله).

لأنه طالما ظلَّ كل منهما فيما يخصه، أحدهما في رفعته والآخر في مذلّته، فلا مجال للاشتراك في الصلاح، ولا تفعيل لمحبة البشر، بل ستكون هناك هوَّه سحيقة بين الطرفين لا سبيل لعبورها، والتي لم تمنع فقط الغني من أن يقترب من أَلِعازَر ومن أحضان إبراهيم (لو ٢٦:٦)، بل وأيضًا تلك الطبيعة المخلوقة والفاسدة من أن تقترب من الطبيعة غير المخلوقة وغير الفاسدة.

وهذا هو الروح الذي نادى به الأنبياء كما قيل: « روح الرب علّي لأن الرب مسحني لأبشرّ المساكينً وأيضًا ، وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ،

رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ» (إش١١:٢)، «ونزل روح الرب وقادهم» (إش٦٣:١٤).

كما أن الروح أرشد بصلئيل لبناء الخيمة (خر ٣٥:٣٠ وما بعدها). كما أنه هو الروح الذي حزن (إش ٦٣:١٠)، والروح هو الذي أصْعَدَ إيليا مع مركبته وهو الذي طلب منه إليشع نصيبَيْن (٢مل٢:٩). وهو روح الصلاح والمشورة الذي اعتمد عليه داود وقاد طريقه (مز٥١:١٠).

ولقد سبق الروح فوعد قديمًا على لسان يوئيل قائلًا: «وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى» (يوئيل ٢:٢٨)... إلى آخر النبوة،

ثم بعد ذلك ما قاله المسيح عن الروح «ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يوحنا ١٦:١٤). مثلما يحدث أيضًا مع الآب والابن اللذين يُمجد كلاهما الآخر (يو ٨:٥٤).

ولأن الوعد (بالمعزي) هو بفيض لذا فسوف يستمر وسيبقي إلى الأبد (يو١٤:١٦.١٧). سواء الآن مع أولئك الذين يحيون في قداسة، أو بعد ذلك مع مَنْ سيستحقون الحياة الأبدية، وذلك إن نحن تمسّكنا به ليس فقط في كل سيرتنا، بل وأيضًا أن لم نطرحه بعيدًا بكثرة خطايانا.

والروح القدس هو شريك مع الابن في الخلق والقيامة، كما هو مكتوب «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا» (مز ٣٢:٦ يرى آباء الكنيسة أن نسمه فيه هي تعبير عن الروح القدس.) وأيضًا يقول أيوب: «رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي» (أيوب ٣٣:٤) وفي موضع آخر يقول «تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الأَرْضِ» (مز١٠٣:٣٠).

والروح القدس هو الذي يحقق الميلاد الثاني، وذلك لأنه لا يمكن أن يرى أحد ملكوت السموات، أي أن يصل إليه إن لم يكن قد وُلدَ من فوق بالروح (يو٣:٥)، وإن لم يكن قد تَطَهَّرَ من بقايا الميلاد الجسدي الذي هو من أسرار الليل (يشير القديس غريغوريوس بهذا إلى مقابلة نيقوديموس للمسيح ليلًا وحديثه عن الميلاد الجسدي) (يو٣:١.٦).بأن يقتني كل منَّا نور النهار الساطع.

والروح القدس كُلّيّ الحكمة ومحب للبشر جدًا، فإن تعهد راعيًا فإنه يجعله منشدًا للمزامير وطاردًا للأرواح النجسة، بل ويقيمه ملكًا لإسرائيل (ملوك١٦:١٢). وإن أخذ راعيًا للغنم وجامعًا لثمر التوت، فإنه يجعله نبيًا، مثلما فعل في داود (١صم١٦:١١.١٣) وعاموس (عاموس ١:١)،وإن تعّهد غلامًا ذكيًّا فإنه يجعله أكثر حكمة من الشيوخ بالرغم من حداثة سنه، كما حدث مع دانيال (دانيال ٢:١٩.٢٣) الذي انتصر وهو في جب للأسود. وإن وَجَدَ الروح صيادين، فإنه يصطادهم لحساب المسيح جاعلًا إياهم صيادين للعالم كلّه بقوة الكلمة. وكمثال على ذلك ما فعله في بطرس واندراوس(مت٤:١٨) وابنا الرعد (مر٣:١٧) اللذان كرزا كالرعد، بالروحيات.

وعندما يجد الروح عشارين فإنه يصنع منهم تلاميذَ له ويجعلهم تجارًا للنفوس مثل متّى الذي كان بالأمس جابيًا للأموال، وصار اليوم بشيرًا (متى ٩:٩) وإن تعهَّد مضطهدين متحمسين حَوَّلَهُم إلى «بولس» بدلاً من «شاول»، واهبًا إياهم حياة تقوى بقدر ما كانوا يرتكبون من خطايا (أع ٨:٣).

هذا هو الروح كُلِّي الوداعة، والمحتد على الخطأة فيالينا نتمتع بوادعته ونتجنَّب حدّته معترفين بمكانته، هاربين من التجديف عليه. فلا نُؤْثِرُ أن نراه محتدًا لدرجة عدم الغفران (مت١٢:٣١).

لقد تكلّم (الرسل) بألسنة مختلفة (أع ٢:٤) عن ألسنة آبائهم، والمعجزة عظيمة إذ أنهم تكلّموا بلغة لم يتعلّموها، والآية هنا لغير المؤمنين وليست للمؤمنين، وما حدث فيه إدانة لغير المؤمنين كما هو مكتوب: «إِنِّي بِذَوِي أَلْسِنَةٍ أُخْرَى وَبِشِفَاهٍ أُخْرَى سَأُكَلِّمُ هذَا الشَّعْبَ، وَلاَ هكَذَا يَسْمَعُونَ لِي، يَقُولُ الرَّبُّ» (١كو ١٤:٢١، إش ٢٨:١١، تثنية ٢٨:٤٩).

يقول الكتاب « فَلَمَّا صَارَ هذَا الصَّوْتُ، اجْتَمَعَ الْجُمْهُورُ وَتَحَيَّرُوا، لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِهِ» (أع ٢:٦). إذن توقف قليلًا هنا ولنسأل كيف يمكن أن نفهم المكتوب لأنه يوجد في هذه الجملة ما يميّزها. فهل كل واحد كان يسمع كلامًا بلغته، حيث يمكننا القول بإنه مع أن الرسل كانوا يتكلّمون لغة واحدة إلّا أنَّ ما حمله الهواء، ووصل إلى إسماع الجمهور كان عدة لغات، ولكي أوضّح أكثر أقول إن اللغة الواحدة صارت عدة لغات أو أن نقول إن الرسل قد تكلّموا بعدة لغات غريبة بالنسبة لهم، وقد سمعها الحاضرون وفهمها كل واحد منهم بحسب لغته.

لأن المعجزة . في حالة الاحتمال الأول . تكون قد حدثت بالحري مع السامعين من الجمهور، وليس مع الرسل الذين تكلّموا بلغة واحدة. أما حسب ما نقول فإن المعجزة تكون قد حدثت مع المتكلّمين والذين قد اتُّهِموا كذبًا بأنهم سكارى (أع ٢:١٥)، وهم الذين قد تكلّموا بإبهار بلغات عدة، بوحي من الروح.

لقد كانت بلبلة الألسنة في القديم (عندما اتفق البشر على الخطيَّة ومعاندة الله . الأمر الذي يفعله الكثيرون حتى اليوم . وقرروا بناء برج بابل) (تك١١:١.٩)، أمرًا جديرًا بالتقدير لأنه هكذا تبددت أهدافهم وتوقف العمل. أمَّا ما هو أكثر جدارة بالتقدير فهو الأمر

الذي يحدث الآن وبطريقة معجزيّة.

إذْ أنَّ الروح القدس الذي حلَّ على الكثيرين، قد جعلهم يعملون في تناسق، وصار الفرق في المواهب محتاجًا إلى موهبة أخرى في تمييز الأفضل، وإلَّا فكلها لن تخلو من شيء ممدوح. كما أنه يمكننا أن نصف الانقسام في الألسنة الذي يتحدَّث عنه داود، أنه مفيد، إذ يقول « أَهْلِكْ يَا رَبُّ، فَرِّقْ أَلْسِنَتَهُمْ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ ظُلْمًا وَخِصَامًا فِي الْمَدِينَةِ» (مز٥٤:٩)، ولماذا؟ لأنهم أحبوا الكلام المهلك واللسان الغاش (مز٥١:٣). ولو كان المرنِّم معنا اليوم لاشتكى علينا على الألسنة التي بيننا والتي تُقَسِّمُ الجوهر الإلهي (ربما يقصد ألسنة الهراطقة التي كانت تنطق بالتعاليم الخاطئة بخصوص أقانيم الثالوث القدوس، وأنها ليست واحدة في الجوهر، سواء كانت تعاليم الأريوسين الذين انكروا ألوهيه الابن أو محاربي الروح الذين أنكروا ألوهيه الروح القدس.)، وهنا لن أزيد في الكلام.

ولأن هذه الألسنة كانت تخاطب اليهود الأتقياء القاطنين في اورشليم، وفي بلاد الفرس وأهل خراسان ومن مصر وليبيا وكريت ومن بلاد العرب، ومن بلاد ما بين النهرين، وأهل عشيرتي من بلاد الكبادوك، وإلى كل اليهود من كل أمة تحت السماء، والذين اجتمعوا هناك، فإنه من الواجب أن ننظر مَنْ كان هؤلاء، ومن أي شعوب اليهود المسبَّية قد أتوا.

لأن السبي في مصر وبابل كان محدودًا ثم توقف بعودة اليهود من هناك، بينما أَسْرُهُمْ وتشتُّتُهُم من قِبل الرومان لم يكن قد حدث بعد، فقد كان وشيكًا أن يحدث كعقاب لهم على جسارتهم وأصرارهم على صلب المسيح، وينبغي أن نذكر أيضًا السبي الذي حدث أيام **انطيوخس** (أنظر مكابين ١، ٢)، والذي حدث ليس قبل تلك الأيام بكثير (يقصد وقت حلول الروح القدس بعد صعود المسيح).

إذن كان من الطبيعي أن يوجد في تلك الأيام بعض من هؤلاء الذين تشتتوا في أمم كثيرة، كي يشاركوا في هذه المعجزة.

ولقد بحث محبو المعرفة في هذه الأمور من قبل، وربما بدون أي حب استطلاع، غير أنه من المؤكد أن المرء يستطيع أن يضيف شيئًا آخر بخصوص هذا اليوم، وقد اعده خصيصًا لنا. غير أننا لابدّ أن ننهي اجتماعاتنا الآن، (لأن الحديث قد طال).

أما احتفالنا فيجب ألَّا ينتهي بالمرَّة. فإن كان يجب أن نحتفل الآن ونحن في الجسد إلَّا أنه بعد قليل سنحتفل ونحن في الروح، وحينئذ أيضًا سنعرف بأكثر وضوحًا، وبطريقة جليّة أقوال الرسل بواسطة الله الكلمة، ربنا يسوع المسيح، الذي هو العيد الحقيقي والفرح لكّل المُخَلَّصِينَ، والذي له ومع الآب والروح القدس المجد والكرامة الآن وإلى دهر الدهور آمين.

العهد القديم في الكتاب المقدس (١٠١)

(ب) حُكم المكابيين (الحشمونيين)

تتمة من العدد السابق

ولاحظ أليعازر أخو يهوذا أنّ الفيل المتقدِّم ضخمٌ وهودجه كبيرٌ ومدجّج بالسلاح فظنّ خطأً أن الملك أنطيوخوس جالسٌ عليه، فاندفع أمام اليهود متّجهًا ناحية هذا الفيل وحينما أدركَ أنه لن يتمكّن من الوصول الى راكبه إذ كان مرتفعًا عن الأرض، اندَفَعَ تحته وطعنه في أحشائه بسيفه فسقط عليه الفيل وسحقه، وكان أليعازر الشجاع بطل هذا اليوم إذ أشعل الحماس في نفوس اليهود ولكن يهوذا فقَدَ كثيرًا من الرجال في هذه المعركة (١مك٦:١٨-٦٣)، ولكي يُنقذ ما بَقِيَ من الجيش هرب إلى الجبال ليحتمي، وفي أثناء ذلك اضطّر الجيش السوري للعودة بسبب حدوث اضطرابات في أنطاكية، ونزاع حول العرش حيث أنه في سنة ١٦٢ ق.م. بدأ الصراع الطويل على عرش المملكة السلوقية، وتحت هذا الضغط عقدت معادة للسلم ينال فيها اليهود حريتهم على أن يتمّ إخلاء الحصن على جبل الهيكل، ومنذ ذلك الوقت ومع هذه الهدنة والسلام النسبي كَفَّ الحسيديون عن الحرب، وتخلّى مُعظم رفقاء السلاح عن يهوذا، لكنه صمَّمَ على مواصلة الثورة حتى الاستقلال، ومع تزايد الخطر المكابي قاد ديمتريوس جيوشًا جرّارة لسحق اليهود، وتحالَفَ يهوذا مع الرومان الذين تحمّسوا لعمل أي شيّء لإقلاق السلوقيين، ولم يستطع يهوذا الوقوف أمام هذه القوة في معركة بيت زكريا فانسَحَبَ أمامها، ودخل ديمتريوس الهيكل وهدم أسواره وترك حامية قويّة في المدينة، وفي خريف نفس السنة أرسل نيكانور يقود جيشًا قويًا، لكنه انهزَمَ في معركة بيت سالمة إذ وقع في كمين يقوده يهوذا فقتله بينما كان القائد السوري يتراجع إلى بيت حورون، وحينما رأى الجنود إصابة قائدهم تولَّاهم الذعر، وكان هروبهم غير النظامي في أرضٍ جبليّة تجربة قاسية إذ ضرب يهوذا بالأبواق فخرج القرويون وهاجموا الجنود السوريين المنهكين وقتلوا عددًا كبيرًا، وازدادت نيران الثورة اشتعالًا ومرّة أخرى أصبح يهوذا قوّة يُعتَدُّ بها، وكانت هذه المعركة في ١٣ آذار سنة ١٦١ق.م. (١مك٧:٤٩ ، ٢مك١٥:٣٦)، وأرسَلَ ديمترويس جيشًا ضخمًا بقيادة بكيديس وزحف نحو أورشليم فقابلهم يهوذا في بلاشع (ليس) ومعه ثلاثة آلاف رجل من جبابرة الحرب في أبريل نيسان سنة ١٦١ق.م.، لكن جيش يهوذا لم يبقَ منه سوى ثماني مئة رجل لأنّ الباقي تفرّقوا، وفي شجاعة منقطعة النظير صمّم يهوذا على تكملة الحرب، ووقعت هذه الفرقة الضئيلة بين قوّتين سوريّتين وَقُتِلَ يهوذا في المعركة في خريف ١٦١ق.م. ورثاه كل اليهود (١مك٩:٥-٢٢).

«قامَت المَلِكةُ عَنْ يَمِينِكَ بِثَوْبٍ موشًّى بالذَّهَبِ، مُزَيَّنَةٌ بأَنْواعٍ كَثيرةٍ.» (مز ٤٤).

الآن هو يتكلم عن الكنيسة، يتكلم عمَّا تعلمناه في النشيد أن الكنيسة هي حمامة المسيح الكاملة الوحيدة (نش٦:٨)، والتي تسمح لأولئك المعروفين بأعمالهم الحسنة بالوجود عن يمين المسيح، فاصلة إياهم عن الأشرار، مثل الراعي الذي يفصل الخراف عن الجداء. لذا، الملكة أي النفس المرتبطة بالكلمة عريسها، غير الخاضعة للخطيئة بل المشتركة في ملكوت المسيح، تقف عن يمين المخلِّص بثوبٍ مُوَشًّى بالذَّهَبِ، أي مُزيّنة نفسها بشكل بهيج وَسَامٍ بالتعاليم الروحية المتنوعة والمنسوجة معًا. بما أن التعاليم ليست بسيطة، لكنها متنوعة ومتعددة، وتتضمن كلمات أخلاقية وطبيعية وباطنية، لذلك يدعو المزمور لباس العروس أنه مزين بأنواع كثيرة.

«اِسْمَعِي يَا ابْنَتِي وَانْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذْنَكِ، وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ، فإِنِ الْمَلِكَ قد اشْتَهَى حُسْنَكِ لأَنَّهُ هُوَ رَبُّكِ ولَهُ تَسْجُدِينَ». هو يطلب من الكنيسة أن تسمع وتطيع الوصايا، وبمخاطبتها كابنة، يربطها بنفسه من خلال هذا اللقب، إذ أنه قد تبناها من خلال الحب.

«اِسْمَعِي يَا ابْنَتِي وَانْظُرِي». بكلمة «أنظري»، يُعلّم المزمور أن الملكة لها ذهن متدرب على التأمل. فيقول: راقبي بدقة الخليقة ومن خلال تأمل الترتيب والنظام فيها ارتفعي نحو تأمل الخالق.

وَبِثَنْيِ رقبتها العالية الفخورة، يقول «أميلي أذنك». لا تركضي نحو الروايات التي من خارج، بل أقبلي الصوت المتواضع الذي للإنجيل. أميلي أذنك لهذا التعليم حتى ما تنسي تلك العادات المفسدة، ودروس آبائك.

لذلك «وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ»، لأن كل من يفعل الخطيئة هو من إبليس (١يو ٣:٨). فيقول أتوسل إليك أن تطرحي عنك تعاليم الأرواح الشريرة، أنسي القرابين، والرقصات الليلية، والحكايات التي تُلهب شهوة الزنى، وكل شكل من أشكال الفِسْقِ. لهذا السبب قد دَعَوْتُكِ ابنتي الخاصة، لكي لا تكرهي الوالد الذي أنجبك قبلًا للهلاك.

وهكذا إذا محوت عيوب تعليمك السابق المفسد، وتزينت بجمالك الأصيل، سوف تظهرين مرغوبة لعريسك وملكك. «لأَنَّهُ هُوَ رَبُّكِ ولَهُ تَسْجُدِينَ». هو يُلمح بالحاجة إلى الخضوع من خلال عبارة: «هُوَ رَبُّكِ ولَهُ تَسْجُدِينَ» – أي كل خليقة. لذلك «تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ» (في ٢:١٠).

«وبنت صور وأغنياء الشعب يستعطفون بالهدايا وجهك»، كانت عبادة الأصنام تمارس بإفراط في كنعان، وعاصمة كنعان هي صور، المزمور في حثه الكنيسة على الطاعة يقول: «بنت صور وأغنياء الشعب يستعطفون بالهدايا وجهك». لم يقل «يستعطفونكِ بالهدايا»، بل قال «يستعطفون وجهك»، لأن الكنيسة لا تُمجَّد بل الذي يُمجَّد هو المسيح رأس الكنيسة، الذي يدعوه المزمور بكلمة «وجه».

«كل مجد ابنة الملك من الداخل، مشتملة بأطراف موشاة بالذهب متزينة بأشكال كثيرة. تدخل إلى الملك عذارى في أثرها». بعد أن تطهرت من التعاليم الشريرة السابقة، وانتبهت للوصايا، ونسيت شعبها وبيت أبيها، يسرد الروح القدس ما يخصها.

وبما أنه يرى النقاوة مخفية في أعماقها، يقول: «كل مجد أبنة الملك من الداخل»، أي مجد عروس المسيح – الذي صارت بالتبني أبنة الملك – «من الداخل». يحثنا هذا على تأمل الأسرار العميقة للمجد الكنسي، إذ أن جمال العروس باطني. إن ذاك الذي يجعل نفسه مستعدًا للآب الذي يرى في الخفاء، والذي يصلي ويفعل كل شيء لا لكي يراه الناس، بل لكي يكون معروفًا لله وحده (مت ٦)، هذا الشخص يكون كل مجده في باطنه، تمامًا كابنة الملك. والأطراف الموشَّاة بالذَّهَبِ التي تكتسي وتتزين بها هي من الداخل.

لا تسعوا وراء الذهب الخارجي والزينة الجسمانية، لكن اهتموا بالثوب الجدير بتزيين النفس التي على حسب صورة الخالق. كما يقول الرسول: « إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ» (كو ٣:٩-١٠). ذاك الذي لبس «أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً» (كو٣) قد اكتسى من الداخل وزيَّن الإنسان الداخلي. يحثنا بولس بأن نلبس الرب يسوع (رو١٣:١٤)، ليس بحسب الإنسان الخارجي، بل حتى ما يغطي ذهننا بالكامل تذكرنا الدائم لله. أنا أعتقد أن الثوب الروحي يُنْسَج عندما يُنْسَج عمل الإنسان طبقًا لكلمة التعليم. وكما يُنْسَج ثوب الجسد بتشابك الخيط بالنسيج، كذلك عندما تكون الكلمة المقدسة لها أسبقية، وإن كانت الأعمال متوافقة مع الكلمة، يتم صنع ثوب رائع جدًا للنفس، التي تمتلك حياة الفضيلة، مُحققة فيها بالكلمة والعمل. والأطراف المتدلية من الثوب هي أيضًا زينة روحية، إذ أنه قيل أنها موشاة بالذهب.

بعض الأنفس، لكونهم لم يقبلوا بذور التعاليم الخاطئة، يتبعون عروس المسيح (الكنيسة)، وبكونهم يتبعون عروسه سوف ينقادون إلى الملك.

المسكن السمائي

القديس غريغوريوس النيسي

ما هو هذا المسكن (الخيمة) الذي لم يصنَع بيدٍ بشرية، والذي قُدِّم لموسى على الجبل، وأمره الله بأن يتخذه كنموذج لكي يصنع على مثاله العجيب مسكنًا من صُنع يدٍ بشرية.

قال الله: «وَانْظُرْ فَاصْنَعْهَا عَلَى مِثَالِهَا الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ.» (خر ٢٥:٤٠).

كانت هناك أعمدة ذهبية قائمة على قواعد من الفضة، ومزينة بتيجان فضية مماثلة، كما كانت هناك أعمدة أخرى من تيجان وقواعد من النحاس ولكن قضبانها من فضه. وكان قلب كل الأعمدة من خشب لا يسوس. وفي كل أرجاء المكان كان يسطع بريق هذه المعادن الثمينة.

وبالمثل كان هناك تابوت من الخشب الذي لا يسوس، مُغطى بذهب نقي لامع. وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك منارة بقاعدة واحدة مقسمة في أعلاها إلى سبعة سرج (فروع)، وكانت المنارة من الذهب الصافي وليست من الخشب المغطى بالذهب. وكذلك كان هناك مذبح وغطاء (بساط الرحمة) وفوقه الكاروبان اللذان تغطي أجنحتهما التابوت (عب٩:٥). وكانت كل هذه من الذهب، ليس فقط مظهر خارجي للذهب، ولكن ذهب خالص.

كانت هناك أيضًا ستائر منسوجة بفنٍ من ألوان مختلفة، منسوجة معًا بحيث تنتج نسيجًا جميلًا، وكانت الستائر تفصل المسكن إلى جزئين: جزء مرئي ويمكن لكهنة معينين دخوله، وجزء آخر سريّ ولا يمكن دخوله وكان اسم الجزء الأمامي (الذي يمكن دخوله) القدس، والجزء المخفي «قدس الأقداس» وكانت هناك مغاسل ومجامر وأستار معلقة حول الفناء الخارجي وستائر من الشَعر، وأغطية من جلد مدبوغة باللون الأحمر، وسائر ما ذُكِرَ في الكتاب المقدس.

فما المعنى الدقيق لهذه الأمور كلها؟

وما مثالها في عالم الحقائق غير المرئية؟

وما الفائدة من النسخة الماديّة للحقائق التي تأملها موسى، عند الذين ينظرون إليها؟

يبدو لي من الأفضل تَركُ التفسير الأصيل في هذه الأمور، للذين مُنحوا النِعمة «لفحص كل شيء بالروح حتى أعماق الله» (١ كو٢)، والذين يستطيعون . على حد قول الرسول - «بالروح أن ينطقوا بأسرار» (١كو١٤:٢). أما ما نقوله نحن في هذا الموضوع فهو على سبيل الافتراض، ونترك لحكم قرّائنا أمرَ إسقاطه أو تبنيّه وفقَ ما يتبيّن لهم. فنقول، مُنطلقين من بولس الذي كشف جزئيًا ما تنطوي عليه هذه الأمور من سِرٍّ، نقول أن موسى قد أُنبئ مُسبقًا - عن طريق نموذج - بسرّ المسكن (الخيمة) الذي يحوي الكل.

هذا المسكن هو **المسيح، قدرة الله وحكمته**، الذي هو في ذات طبيعته لم يُصنع بيدٍ بشريّةٍ، ولكنه يتّخِذُ وجودًا مخلوقًا عندما يُقامُ المسكن فيما بيننا. وهكذا فالمسكن نفسه هو مخلوق وغير مخلوق، غير مخلوق بسابق وجوده، ومخلوقٌ باتّخاذه وجودًا ماديًا.

لن تكون هذه الأقوالُ غامضة عندَ من تلقوا سرَّ إيماننا بدقة. انه وحيدٌ بين الجميع ذاك الذي «كان قبل الدهور» والذي «جاء في آخر الأزمان» (كو١). لم يكن بحاجة إلى أن يُوْلَدَ زمنيًا. وكيف يكون بحاجة إلى ولادة زمنية من كان سابقًا بوجُوده الأزمان والدهور؟ ولكن من أجلنا، نحن الذين فقدنا الكينونة بانهيار إرادتنا، تنازل ووُلد بشريًا لكي يُعيدَ إلى الكينونة مَن خرج منها. انه الإله، الابن الوحيد، الذي يجمع الكل في ذاته، والذي أقام له «مسكنًا فيما بيننا» (يو١). (نَصَبَّ خيمته في وسطنا).

إذا سمينا الإله «مسكنًا» فإن هذا يجب ألا يزعج أي شخص محب للمسيح، أو يجد في هذه الفكرة تقليلًا من عظمة طبيعة الله. فليس هناك أي اسم آخر جدير بهذه الطبيعة، فإن جميع الأسماء تُقصّرُ عن الدلالة عليه بدقة، سواء كانت للتعظيم أو لغير التعظيم.

وكما أنه من الممكن أن تُستعمل جميع الأسماء الأخرى استعمالًا تقويًا ولكل منها بعض الدلالة على **القدرة الإلهية**، كطبيب، وراعٍ، وحامٍ، وخُبز، وكرمة، وطريق، وباب، وماء، وصخرة، وينبوع، وما إلى ذلك مما يقال لها، هكذا أُطلق عليها اسمُ «مسكن» للدلالة على الطبيعة الإلهية. فالقدرة التي تحتوي الكون، والتي «يحلّ فيها كل ملء اللاهوت» (كو٢) والملاذ العام للكل، الذي يحتوي الكل في ذاته، دُعي بجدارة «مسكنًا».

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل العاشر

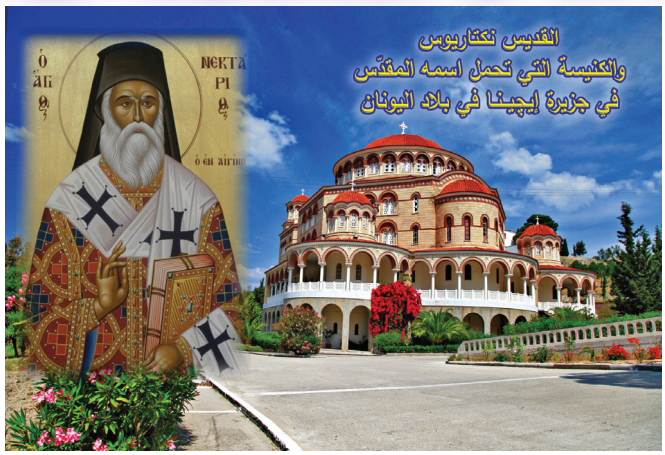

وقد سامه البطريرك بنفسه كاهنًا في كنيسة القديس سابا البطريركيّة، بكثير من الأبّهة وبكل روعة الليتورجيا البيزنطية: كان ذلك نهار أحد، وقبل يومين من عيد البشارة، منذ أربع سنوات (١٨٩٦) ... وكانت الكنيسة مكتظة لدرجة انه لم يَعُد هناك مكان لعصفورٍ صغير. وردًّا على كلمات البطريرك المليئة بالإطراء، أجاب نكتاريوس بهدوء وبتأثّر ودون تصنّع، متكلمًا عن مَثَلِ الزارع: فقد قدّمه صفرونيوس خلال سيامته على أنه زارعٌ للكلمة الإلهيّة. إلّا أن الشفتين الكُلّيتَي القداسة قد قارنتا الكلمة الإلهيّة في هذا المثل البديع بحبّة القمح، دون أن يكون هناك شَبَه مادي بالطبع لأنّ الكلمة هي روح، فهي تنتقل كالروح. ولكن لها بعض صفات حبّة القمح. فإنّ حبّة القمح شيء لا أهمية له، ويمكن أن يسحقها أصغر وزن. انه الأمر بالنسبة إلى الكلمة الإلهيّة الصغيرة جدًّا ظاهريًا، والتي لا أهمية لها على شفتي الكاهن، ويحتقرها دائمًا كبار هذا العالم. أمّا إذا وقعت حبّة القمح في الأرض الجيّدة، فإنّها تتحلّل وتموت. وبعد ذلك تعود إلى الحياة وتنبت بقوة لا مثيل لها، وتخترق التراب لتزهر وتعطي ثمرًا قد يصل إلى المئة. وهكذا وبدرجة أكبر بكثير، تخرج الكلمة الإلهيّة من شفتي الكاهن أو الراهب أو المؤمن المندفع، وتقع في قلوب البشر. لكن ليس كل قلب بشري كالأرض الجيدة. فبعضها محجر أو مليء بالأشواك، والبعض الآخر متسمّم. آه لو كلنا نستطيع أن نُصبح أرضًا خصبة!

هذه الأرض الجيدة هي مباركة جدًّا! سرّها هو الصبر، الصبر الممتزج بالاتضاع ... «الصبر، ذلك السماد المحيي، التبرير الذي لا يناقِضُ أبدًا، الإكليل الأبدي».

وبعد أن أصبح كاهنًا، واعظًا، وأبًا روحيًا، تلقّى بعد خمسة أشهر رتبة الأرشمندريت من يدي متروبوليت النوبة في كنيسة القديس نيقولاوس بالقاهرة. وَأُعْطِيَ حالًا مسؤوليات الواعظ وأمين السرّ البطريركي في القاهرة، وبعد شهرين عُيِّنَ مُدَبِّرًا إداريًا للبطريركيّة.

فهل أربكه هذا الارتقاء في السلك الاكليريكي، وهذا المجد غير المنتظر؟ خلال كل هذه الفترة، حافَظَ على الصوم الكامل مساء كل ليلة، فلم يكن يأكل أو يشرب على الإطلاق، بغية درء سهام الشرير المحمّاة. كان يتلو بتقوى، جاثيًا على ركبتيه، قانون أندراوس الكريتي، ويصلي لينال الحكمة والمعونة الإلهيّة.

اذ ذاك بدأ يعرف الشعب، وصادف لديه حالًا المصائب والألم، وانحنى نحو تلك الصحراء المحترقة ليحمل إليها بعض الطراوة. عمل بجهد في حقل الربّ ليزرع الكلمة الإلهيّة. كما عمل بجهد لتجميل الكنيسة البطريركيّة العائدة لشفيع البحارين المتواضع، القديس نيقولاوس العجائبي، المعروف بعجائبه الكثيرة في البحار. وقد أحضر أفضل فنان في كتابة (رسم) الإيقونات ليرسم الإنجيليين الأربعة، والأنبياء، والمخلّص، والعذراء المجيدة مريم، والثالوث القدوس الكليّ التسبيح. كما قام بمساعٍ وخطوات، وأتعاب وتوسلات، لجمع التبرعات.

«تبارك الله في قديسيه».

الحرية ملزِمة، القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس

تدفعنا أخلاقياتنا إلى اتخاذ خطوات نحو خلاصنا، إذ بغير ذلك نضيع. الاعتراف الرسمي بحريتنا الأخلاقية من قِبَل المخلص يعلّمنا أنّ خلاصنا لا يعتمد فقط على عمل نعمة الله، ولكن أيضًا على موافقتنا الشخصية ونشاطنا في وقت واحد.

الفضائل كلها واحدة:

الشيخ جاورجيوس كابسانيس، رئيس دير غريغوريو في أثوس:

جميع الفضائل هي جوانب لفضيلة عظيمة واحدة هي فضيلة المحبّة. عندما تكتسب المحبّة كمسيحي تكتسب كلّ الفضائل. إنّ المحبّة هي ما يطرد من روحنا جذر كلّ الشرور وكلّ الأهواء الذي، وفقاً للآباء، هو الأنانية.

الخطأ العَرَضي، جبرائيل المعترف الجديد:

كل ما يجري للناس هو من قبيل الصدفة. لا تنظر إلى أحد حتى لو كنت ترى كم هو غير أخلاقي، ومستعد للسكر أو للتجديف. إن صورة الله فيه، في مكان ما أيضًا، حتّى ولو لم يعرف ذلك.

من الطبيعي للعَدُوّ أن يأتي ويلوّث تلك الصورة. ليس من السهل رؤية صورة الله في أولئك الذين يسخرون منك ويتصرفون مثل المتوحشين نحوك. يجب أن تشعر بأسف أكبر نحوهم لأن نفوسهم قد تشوّهت، إلى حدّ أنهم قد يرون أنفسهم فوق التصحيح، وهذا ما سوف يدينهم بالعذاب الأبدي. كم هو صعب أن تحبّ أعداءك!

الأرثوذكسيّة (٦٠)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

ماذا يُعلِّمنا المجيء الثاني؟ – تتمة

قال يسوع مثَل السيِّد المُسافر ليؤكّد مسؤوليّة الإنسان أمام الله. نقرأ في إنجيل مرقس الرسول: «كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ تَرَكَ بَيْتَهُ، وَأَعْطَى عَبِيدَهُ السُّلْطَانَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَأَوْصَى الْبَوَّابَ أَنْ يَسْهَرَ.» (مرقس ١٣: ٣٤). إنَّ السيِّد الغائب لا يتوقّع من خدّامه أن يكونوا ساهرين فقط، منتظرين عودته، بل أيضًا أن يعملوا بنشاط وَجِدٍّ في استثمار أعماله. الله هو السيِّد الغائب في المثَل. إنّه أعطانا وزنات وترَكَ لنا مسؤوليّة رعاية حياتنا والاهتمام بالأرض التي خلقها لنعيش عليها، وفي يومٍ ما لا نعلم متى يكون سوف يعود لنُقدِّمَ حسابًا له عن كيف أدرنا مُلكيَّاته. من الأشياء التي تدل على عظمة الإنسان هي أنّه لا ينتسب لآخر سوى الله، إله الكون.

٣) كما يعلّمنا المجيء الثاني ألّا نتسرّع في حُكم إدانة الآخرين. أنصِت إلى ما يقوله القدّيس بولس: «إِذًا لاَ تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلاَمِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللهِ.» (١ كو ٤: ٥).

إن قانون الإيمان يدعونا أن نتذكّر أنّه لا يوجَد سوى قاضٍ واحد، وهو فقط الذي يعرف كل شيء عن كل أحد. هو وحده الذي يمكنه القضاء. يجب ألّا نتّخذ لأنفسنا اختصاصات الله. والدينونة شيء لا يمكن أن يتمّ إلّا في النهاية. قد يرتكب شخص ما خطأ كبيرًا في الحياة، وكثير منَّا سوف يكونون مُسرعين جدًّا في الحُكم عليه بسبب ذلك، ولكن كيف نعرف نهاية هذا الإنسان؟ قد يتوب مُتأخِّرًا وبنعمة الله تَخلُص نفسه وتكون بقيَّة أيام حياته برَكَة للجنس البشري. لا يمكن لأحد يَرى جزءًا صغيرًا فقط من حياة إنسان أن يَحكُم عليه بكلِّيته.

إنّ المجيء الثاني ليسوع يُعلّمنا مسؤوليتنا ومحاسبتنا أمام الله.

كيف نُعدّ أنفسنا للمجيء الثاني ؟

عادت فتاة صغيرة إلى منزلها بعد انتهاء مدارس الأحد وسألت والدتها: «إنّ المدرّس قال لنا اليوم إنّ الله وضَعَ الناس في العالم حتَّى يستعدوا للسماء».فأجابتها الأُم: «هذا حق يا عزيزتي». تجعّدت جبهة الفتاة الصغيرة ثم سألت: «إن كان الأمر حقًّا يا أُمّاه، فلماذا إذًا لا نجد أحدًا مُستَعِدًّا ؟» إن عاد المسيح اليوم، أو إن ذَهَبتَ فجأة لتقابل إلهك، هل تكون مُستعدًّا ؟

إنّ موضوع الاستعداد لمُقابلة السيِّد هو من الأفكار الثابتة الهامَّة في العهد الجديد:«وَأَمَّا الأَزْمِنَةُ وَالأَوْقَاتُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هكَذَا يَجِيءُ.لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ:«سَلاَمٌ وَأَمَانٌ»، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلاَ يَنْجُونَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلَسْتُمْ فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذلِكَ الْيَوْمُ كَلِصٍّ. جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلاَ ظُلْمَةٍ. فَلاَ نَنَمْ إِذًا كَالْبَاقِينَ، بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ. لأَنَّ الَّذِينَ يَنَامُونَ فَبِاللَّيْلِ يَنَامُونَ، وَالَّذِينَ يَسْكَرُونَ فَبِاللَّيْلِ يَسْكَرُونَ. وَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ مِنْ نَهَارٍ، فَلْنَصْحُ لاَبِسِينَ دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، وَخُوذَةً هِيَ رَجَاءُ الْخَلاَصِ. لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاَصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مَاتَ لأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ. لِذلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضًا.» (١تس ٥: ١-١١).

«لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً،وَأَنْتُمْ مِثْلُ أُنَاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتَى يَرْجعُ مِنَ الْعُرْسِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ لِلْوَقْتِ.طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَتَمَنْطَقُ وَيُتْكِئُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ وَيَخْدُمُهُمْ. وَإِنْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّانِي أَوْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّالِثِ وَوَجَدَهُمْ هكَذَا، فَطُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ. وَإِنَّمَا اعْلَمُوا هذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي السَّارِقُ لَسَهِرَ، وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ. فَكُونُوا أَنْتُمْ إِذًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ». (لو ١٢: ٣٥-٤٠).

كيف يمكننا على وجه التحديد أن نستعدّ لمجيء الربّ؟

١) إنّ أهل فيليبّي سألوا بولس الرسول نفس السؤال: «ماذا نفعل قبل أن يأتي يوم الربّ؟». والقديس بولس في رسالته إليهم يعطيهم الإجابة المُلهَمة: «إلى أن يأتي، عيشوا في سيرة مقدّسة، عيشوا للمسيح حتى يمكنكم أن تقولوا: «لي الحياة هي المسيح». أن تحيا حياتك مع المسيح ولأجل المسيح كل يوم. فهذا يعني أنَّكَ تستعدّ لمجيئه.

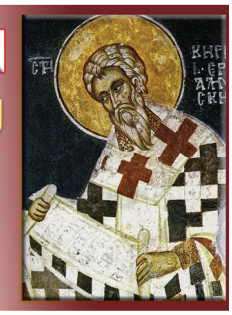

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثالثة عشر في العماد

«... وَصُلِبَ وَقُبِرَ»

«ربٌّ، من الذي آمن بكلامنا؟ ولمَن ظهرت يَدُ الربّ؟ ...كنعجة سيق الى الذبح وحمل صامت بين يدي من يجزه هكذا فتح فاه. في ذلّه أُنكر عليه حقّه. ترى من يصف ذريته؟ لأنّ حياته أُزيلت عن الأرض ...» (أشعيا ٥٣: ١–٨).

العظة الرابعةَ عشرةَ

«... وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب» – تتمة

٥– نبوءة نشيد الأناشيد على مكان القيامة:

هل تريد أن تعرف المكان؟ يعود فيقول في سفر الأناشيد: «نزلت الى جنّة الجوز» – لأنّ المكان الذي صُلِبَ فيه يسوع كان بستانًا (يو ١٩: ٤١) – إن كان المكان مزيّنًا الآن بالهبات الملكيّة، فذلك لا يمنع أنه كان بستانًا لا تزال آثاره قائمة. «جنّة معلّقة وعين مختومة» (نشيد ٤: ١٢) من اليهود الذين قالوا : «لقد تذكّرنا أنَّ ذلك المُضلّ قال وهو بعدُ حيّ: إنّي بعد ثلاثة أيام أقوم. «فمُرْ أن يُضبَط القبر ... فمضوا وضبطوا القبر بختم الحجر وإقامة الحراس» (متى ٢٧: ٦٣–٦٦) ؛ وللانتقام منهم، قال واحد: «في الراحة تمنحهم» (أيوب ١٨: ٧). مَن هو «العين المختومة»؟ أو ما معنى «بئر مياه حيّة»؟ (نشيد ٤: ١٥). إنّه المخلّص نفسه الذي كُتِبَ عنه: «إنّك يا ربّ ينبوع الحياة» (مز ٣٥: ١٠).

٦– شهادة صُفنيا:

ولكن ماذا يقول صفنيا للتلاميذ باسم يسوع؟ «تأهّب، قُم في الصباح الباكر، فقد أفسدوا جميع أعمالهم» (صفنيا ٣: ٧)، أي اليهود الذين لم يبقَ لديهم ولا عنقود خلاص، لأنّ كرمتهم قُطعت. أنظر كيف يتحدّث الى التلاميذ: «قم في الصباح الباكر، وعند الفجرْ إنتظر القيامة». ويتابع نَص الكتاب بقوله:« ولذلك إنتظرني، يقول الرب، إلى يوم قيامتي حتى تشهد» (صفنيا ٣: ٨). ألا ترى أن النبي سبق فرأى مكان القيامة، فدعاه «الشهادة» (مرتيريوم»)؟ وبسبب هذه الكلمة، لم يُدعَ كان الجلجلة والقيامة «كنيسة» كباقي الكنائس، بل دُعي «شهادة» (مرتيريوم)، كما لو كان النبي يقول: «إنتظرني في الشهادة الى يوم أقوم».

٧– صفنيا يعطي علامات القيامة:

مَن هو هذا؟ وما هي علامة قيامته؟ وتتابع النبوءة فتقول بوضوح: «لأنّي حينئذ أُحوِّلُ لساني الى الشعوب» (صفنيا ٣: ٩)، إذ بعد القيامة، مُنح التلاميذ موهبة الألسنة بحلول الروح القدس (أعمال ٢: ٤) «لكي يخدموا الرب تحت نير واحد» (صفنيا ٣: ٩). وما هي العلامة الأخرى التي أُعطيت في هذه النبوءة للاستدلال بها على أنهم سيخدمون الرب تحت نير واحد؟ «من عبر أنهار كوش ... يقرّبون لي تقدمة » (صفنيا ٣: ١٠). أنت تعلم ما ورد في أعمال الرسل، أن خصيًّا جاء من أقاصي أنهار الحبشة (أعمال ٨: ٢٧). وإذا تتحدث الكتب عن زمن القيامة، وطبيعة مكانها، والعلامات التي أعقبتها، فآمن إذن بها، ولا يمنعك أحد من الاعتراف بأن المسيح قام من بين الأموات.

٨– المزمور ٨٧ وساعة القيامة:

إليك شهادة أخرى في المزمور السابع والثمانين حيث يتحدث المسيح على لسان الأنبياء (لأن الذي تحدّث عندئذ قد جاء فيما بعد) «أيها الربّ إله خلاصي، صرخت إليك نهارًا، وإني بين يديك ليلًا»؛ وبعده بقليل: «وأصبحت كإنسان ليس له معين، حرًّا بين الأموات». انه لا يقول: «**أصبحت إنسانًا ليس له معين**» بل «**كإنسان ليس ليس له معين**». لأنه صُلِبَ لا عن ضعف ولكن بإرادته الحرّة، ولم يأتِه الموت نتيجة مرض لا إرادي. «لقد حُسبت مع مَن ورد المنون».–وما كانت علامة ذلك؟ «أبعَدتَ عنّي معارفي» (لأنّ التلاميذ هربوا) (متى ٢٦: ٥٦). «ألِلاموات تصنع المعجزات؟» – وورد بعد ذلك: «إيّاك يا رب استغيثُ، وفي الغداة صلاتي تبادر إليك»، أترى كيف يتحدّث الأنبياء بكل دقة عن ساعة الآلام وعن القيامة!

٩– نشيد الأناشيد يحدّد القيامة:

وأين يقوم المخلّص؟ يقول نشيد الأناشيد: «قومي يا خليلتي، يا جميلتي، وهلمّي»، ثم يستطرد فيقول: «في كهف الصخرة». إنّه يسمّي «كهف الصخرة» الكهفَ الذي كان قبل أن يصبح باب القبر الخلاصي، وقبل أن يُنْحَت في هذه الصخرة، كما هو العادة هنا، ليكون قبرًا. في الواقع انه لا يظهر الآن بما انه، لإقامة هذا المبنى الحالي، كان لا بدّ من هدم المغارة. لأنه قبل بناء المبنى بفضل سخاء الامبراطور وكرَمِهِ، كانت المغارة أمام الصخرة. ولكن أين الصخرة التي كان فيها الكهف؟ هل هي في وسط المدينة، أم في طرفها، أم حول الأسوار؟ هل هي بداخل الأسوار القديمة ؟ أم داخل الأسوار الخارجيّة التي بنيت فيما بعد؟ يجيب في النشيد: «في تخاريب الصخر، وفي خفايا المعاقل» (نشيد ٢: ١٣–١٤).